كتب قيمة

٢٢

تحريف التوراة

وسياسة إسرائيل التوسعية

تأليف

د. محمد علي البار

دار القلم
دمشق

الدار الشامية
بيروت

تحريف التوراة

وسياسة إسرائيل التوسعية

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب قيمة
(٢٢)

تحريف التوراة

وسياسة إسرائيل التوسعية

تأليف
د. محمد علي البار

دار القلم
دمشق

الدار الشامية
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

تُطلب جميع كتبنا من :
دار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق
دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله القائل في محكم التنزيل لحبيبه المصطفى ومختاره المجتبىٰ صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله:

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ
مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ
يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ
هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن
تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن
يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ
عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ
فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ

شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ
ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ
أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟
لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ
وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ۚ وَلَا
تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤١ ـ ٤٤].

فهؤلاء اليهود قد حرّفوا التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام هدى ونوراً، وأضاعوها أثناء ردتهم وعبادتهم العجل ومَلْكوم والبَعْل وعَشْتروت، وقد ارتدوا عشرات المرات في تاريخهم الطويل، ثم وضع الأحبار لهم كتباً من عند أنفسهم ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]. ولم يبق من التوراة الحقّة إلا آيات قليلة تلمع مثل اللآلئ والألماس في وسط ركام من القاذورات التي تزكم الأنوف

وتُقذي العيون، وحتى هذه الآيات يفسّرها الأحبار تفسيراً خاصاً، فلا تقتل تتحول إلى «لا تقتل يهودي»، ولا تسرق تتحول إلى «لا تسرق يهودي» وهكذا.

ومع هذا فإن اليهود الذين حرّفوا هذه التوراة وبدَّلوها بمجموعة من الأساطير والافتراءات على الأنبياء عليهم السلام مما تقشعر له الأبدان، مع هذا كله يزعم أحبارهم أن التوراة هي النور الأوَّلي والأزلي الذي خلق الله منه جميع الأنوار العلوية والسفلية، ثم خلق منه الأكوان بأجمعها. ولذا فإن دراسة هذه التوراة هي الشغل الشاغل لأحبار اليهود، بل زعموا في التلمود أن الله سبحانه وتعالى يقضّي الثلاث الساعات الأولى من النهار كل يوم في دراسة التوراة مع كبار الأحبار.

كما يعتقد هؤلاء اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه على الحقيقة والمجاز، وأن الله خلق آدم على صورة الله وجعل فيه جزءاً من ذات الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. ثم أن آدم كانت له حسب زعمهم عشيقة من الجن اسمها «ليليت» أنجب منها أطفالاً، كما أن حواء كان لها عشاقها

من الجن أيضاً، وأنجبت منهم كذلك، وهؤلاء يُسمَّون أبناء الناس، أما أبناء آدم وحواء فيُسمّون أبناء الله.

ثم أن أبناء الله تزوجوا من بنات الناس، فولد لهم الجبابرة وغضب الرب وقال: «لا يدين روحي في الإنسان» وأمر بإغراق الأرض فأهلك جميع البشر ما عدا نوح لأنه كان من أبناء الله [سفر التكوين، الإصحاح السادس]. ثم تحوَّلت روح الله إلى سام بن نوح «وسكن الرب في خيام سام». ومن سام جاء إبراهيم الذي تحولت منه روح الله إلى ابنه إسحاق «لأنه بإسحاق فقط يُدعى لك نسل». وبخديعة حقيرة استطاع يعقوب ـ حسب زعمهم ـ أن يأخذ البركة من أخيه عيسو، ويجعل والده يباركه، وتنتقل إليه روح الله!!.

واستطاع يعقوب حسب زعمهم أن يصارع الله طوال الليل حتى أعطاه الله جميع أرض فلسطين ملكاً أبدياً له ولنسله، وجدَّد الربُّ معه العهد الذي أعطاه لإبراهيم ثم لإسحاق.

ولهذا يعتقد اليهود أن أرض فلسطين بكاملها هي

أرض يهودية، امتلكوها بموجب عهود موثَّقة بينهم وبين الله، وقد وثَّقوها بدم الغُرْلة (الختان)!! ويعتقدون أن أرواح اليهود تتميز بأنها جزء من ذات الله، كما أن الابن جزء من ذات أبيه، ولو لم يُخلَق اليهود لانعدمت البركة من الأرض. والفرق بين اليهودي وباقي الشعوب كالفرق بين الإنسان والحيوان. وليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم، ويحقّ لليهودي أن يسرق مال غير اليهودي، ولا يعتبر ذلك سرقة بل استرداداً لمال اليهودي، إذ أن العالم كلّه لم يخلق إلا من أجل اليهود، ومُصَرّح لليهودي أن يغشّ غير اليهودي، ومحرّم عليه أن ينصح له، وحياة غير اليهودي مُلْك لليهودي فكيف بماله؟، ولليهودي لا تقرض بربا، وللأجنبي لا تقرض إلا بالربا!!.

والرب لا يهتمّ إلا بابنه البكر إسرائيل: «أنت ابني. . أنا اليوم ولدتك. اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً، وأقاصي الأرض ملكاً» [المزمور الثاني]. «ويطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم، فترثون شعوباً أكبر منكم وأعظم منكم. كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون

لكم، من البرّية ولبنان من النهر، نهر الفرات إلى البحر الغربي[1] يكون تخومكم، لا يقف إنسان في وجهكم. الربّ إلٰهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الأرض التي تدوسونها بأقدامكم كما كلَّمكم الرب».

[سفر التثنيه، الإصحاح ١١]

وفي سفر العدد [الإصحاح ٣٣] قال لهم الرب: «إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان (فلسطين)، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم، تملكون الأرض وتسكنون فيها. قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها، وتقسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم، وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبْقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جنوبكم، ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها».

ويقول الربُّ لهم أيضاً في سفر التكوين: «احفظ ما أنا أوصيك اليوم: ها أنا طارد من قُدَّامك الكنعانيين

---

(١) هل هو البحر الأبيض المتوسط أو يقصد نهر النيل.. لم يحدِّد النص ذلك.

والحيثيّين والفرزيين واليبوسيين. احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آتٍ إليها؛ لئلا يصيروا فخاً في وسطك وقذى في عينك ومناخس في جنبك. احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض» [التكوين ٣٤: ١١، ١٢].

وفي سفر التثنية [٢٠: ١٦ ـ ١٨]: «وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلـٰهك نصيباً، فلا تستبقِ فيها نسمة، بل تحرّمها تحريماً» (أي تبيدها إبادة كاملة).

وفي سفر التثنية أيضاً [١٢: ١ ـ ٢]: «قال الربُّ: هذه هي الفرائض والأحكام التي تحفظونها لتعملوها. الأرض التي أعطاك الربّ إلـٰه آبائك لتمتلكها كل الأيام التي تحيون على الأرض، تخرِّبون جميع الأماكن».

والتوراة وأسفار العهد القديم الأخرى كلها مليئة بهذه المجازر والمذابح والقتل للنساء والأطفال، والأوامر بعدم قطع أي عهد مع سكان الأرض. يقول الرب حسب زعمهم: «متى أتى الرب إلـٰهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وتطرد شعوباً كثيرة أمامك، ودفعهم الرب فإنك تحرِّمهم (تبيدهم جميعاً). لا تقطع معهم

عهداً، ولا تشفق عليهم، لأنك شعب مقدس للرب إلـٰهك. إياك قد اختار الربُّ لتكون له شعباً، أخَصّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، مباركاً تكون فوق جميع الشعوب، وتأكل كل الشعوب، لا تشفق عيناك عليهم. ولكن الرب إلـٰهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً قليلاً، لا تستطيع أن تفنيهم سريعاً، لا يقف إنسان في وجهك حتى تفنيهم».

وهذه هي سياسة إسرائيل منذ قيامها إلى اليوم: ابتلاع المزيد من الأرض كل يوم، والإتيان باليهود من مشارق الأرض ومغاربها، وإقامة المستوطنات يوماً بعد يوم، وعدم عقد أي معاهدة سلام حقيقية مع سكان الأرض. ورغم ذلك فقد أباح لهم الأحبار بنصوص من التوراة والتلمود الكذب والخداع ونقض العهود، والاستمرار في هذا الخداع حتى يأتي الوقت المناسب للاستيلاء على مزيد من الأرض، لأن هذه الأرض هي لإسرائيل بموجب عهود موثقة من الرب ذاته.

وقد صرحت جولدا مائير في ١٥ أكتوبر ١٩٧١

لصحيفة لوموند الفرنسية بما يلي: «وُجد هذا البلد (إسرائيل) تنفيذاً لوعد الرب ذاته، ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحاً عن شرعية هذا الوجود».

ويقول موشي ديان في الجيروزالم بوست في ١٠ أغسطس ١٩٦٧: «إذا كنا نملك الكتاب المقدَّس، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة، فينبغي أيضاً أن نمتلك أيضاً بلاد التوراة وبلاد القضاة[1]، أرض أورشليم (القدس)، وحبرون (الخليل)، وأريحا، وأماكن أخرى كثيرة».

ويقول مناحيم بيجين لصحيفة دافار في ١٤ ديسمبر ١٩٧٨: «لقد وعدنا الله هذه الأرض، ولنا كل الحق فيها».

وكتب بيرسون دينور أول وزير للتعليم في إسرائيل: «ليس في بلادنا مكان إلا لليهود، وسنقول للعرب: ارحلوا، فإن لم يَرْضَوا بذلك وعمدوا إلى المقاومة فسنرحّلهم بالقوة». وأكد هذا المعنى ذاته

---

(١) القضاة: هم الذين حكموا المجتمع الإسرائيلي من بعد يشوع وحتى قام فيهم المُلْك.

جوزيف فايتز مدير الاستيطان غداة حرب يونيه ١٩٦٧ : «من الواضح أنه لا مكان في هذه البلاد لشعبين . . والحلّ الوحيد هو إسرائيل اليهودية التي تضمّ على الأقل إسرائيل الغربية (أي كل الأرض التي تقع غرب نهر الأردن بما فيها قَطعاً الضفة الغربية والقدس) بلا عَرَب، ولا مخرج إلا بنقل العرب إلى مكان آخر».

وقد تنازل اليهود عن الأراضي الواقعة شرق الأردن لأنها أيضاً لهم حسب وعد الرب، وصرَّحوا مراراً بأن الموطن البديل للفلسطينيين هو الأردن، وتحدثوا عن الترانسفير (Transfer) أي تحويل من بقي من أهل فلسطين إلى الأردن، وإقامة الدولة الفلسطينية هناك؛ ولذا فإن نظام الحكم في الأردن قلق أشدّ القلق من هذه الفكرة، ويحاول أن يتفاهم مع إسرائيل، لأنه قد جرّب من قبل الاعتماد على الدول العربية، فكانت النتيجة بالنسبة له وبالاً . ومع هذا فإن إسرائيل لا عهدَ ولا ميثاق لها . وملك الأردن أول من يعرف ذلـك، ومتيقّن بأن إسـرائيل ستغيّر كل مواثيقها السريّة والعلنية معه بمجرد ذهابه .

وإسـرائيل مصمّمة على الوصـول لهدفها خطوة خطوة، ومنذ قيامها عام ١٩٤٨ وهي لا تريد السلام، وإن كانت توهم العرب والعالم بذلك، ولكنها اضطرت أخيراً لفضح سياستها هذه على يد نتنياهو. ومع هذا فالعرب لا يزالون واهمين ينتظرون أن يهبط عليهم السلام من حديقة البيت الأبيض، وهم للأسف يعلمون أن البيت الأبيض قد ملأ دروبـه ومكاتبَـه اليهـودُ؛ فوزيـر الدفـاع يهودي، ووزيرة الخارجية يهودية، ووزير المال يهودي، ورئيـس مكتـب الأمـن القـومـي يهـودي، بـل ورئيـس المخـابـرات الأمـريكيـة (CIA)، لأول مـرة، قـد أصبـح يهودياً، والكونجرس يتحكم فيه اليهود تحكماً تاماً(١).

هذا بالإضافة إلى عقائد البروتستانت التي تدعو إلى تطبيق ما جاء في التوراة والعهد القديم حرفيّاً، وإلى اعتبار أن قيام إسرائيل هو تحقيق لنبوءات أسفار حزقيال وأشعيا ودانيال، وأن أورشليم لا بدَّ أن تكون عاصمة لدولة

---

(١) هذا هو واقع الأمر في الولايات المتحدة الأمريكية في السنوات الأخيرة في القرن العشرين وفي عهد رئيسها بيل كلينتون.

إسرائيل. ليس ذلك فحسب، بل لا بد من هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل استعداداً لمجيء الرب (المسيح الدجّال)، لأنه هكذا قالت الأسفار!! حيث يعتقدون أن الماشيح (المسيح) لا يأتي إلا بعد بناء الهيكل!!.

وهذا الكتاب هو محاضرة أُلقيت في الرياض في الندوة الرفاعية في ١٤١٨/٨/١١هـ في منزل الشيخ محمد أحمد باجنيد، وحضرها لفيف من رجال الفكر والأدباء والشعراء وأساتذة الجامعات، وكان لها بفضل الله صدىً طيباً، ورغب بعض الأخوة في نشرها على نطاق واسع لأهمية موضوعها. فاللهُ أسألَ أن ينفع بها كاتبها وقارئها وناشرها، لا وليَّ غيره ولا رب سواه.

١٤١٩/١/١هـ
١٩٩٨/٤/٢٧م

د. محمد علي البار

الفصل الأول

(١)

تعريف بالتوراة والأسفار المقدّسة

١ـ التوراة في القرآن الكريم:

أنزل الله سبحانه وتعالى التوراة مكتوبة على موسى عليه السلام، وجعلها هدى ونوراً، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ [هود: ١٧، والأحقاف: ١٢]، وقال عز من قائل: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ [الأنعام: ٩١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ

ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ [الجاثية: ١٦، ١٧].

ولكن بني إسرائيل لم يحملوا التوراة إلا كما يحمل الحمار الكتب ولا ينتفع بها، قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥].

ولا يعتبر المسلم مسلماً إلا إذا آمن بكتب الله المنزلة وبأنبياء الله جميعاً. قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

تحريف التوراة:

ذكر الله سبحانه وتعالى أن أحبار يهود قد قاموا بتحريف التوراة وتبديلها حسبما شاءت لهم الأهواء،

فبدلوا كلام الله وغيّروه، وأضافوا إليه وحذفوا منه؛ قال تعالى:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال تعالى:

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

وهم الذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون هذا من عند الله، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا

قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٨ ـ ٧٩].

والمسلمون متفقون على وقوع التحريف في التوراة، فهو ثابت بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولكنهم يختلفون في مدى ونوعية هذا التحريف.

وأصح الأقوال: أن التحريف والتبديل أصاب معظم التوراة، بل يكاد يشمل التوراة كلها إلا آيات قليلة هنا وهناك، ومن القائلين بهذا ابن حزم الأندلسي، والإمام الغزالي، وشيخه عبد الملك الجويني، إمام الحرمين، والإمام ابن تيمية، وتلميذه الإمام ابن القيم، والإمام القرطبي صاحب التفسير، والإمام علي بن محمد الباجي الشافعي صاحب كتاب (على التوراة) وهو دراسة نقدية للأسفار الخمسة كاملة، وغيرهم كثير.

والتحريف والتبديل يشمل إلباس الحق بالباطل، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١]، ويشمل كتمان

الحق وإخفاءه: ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٤٢]، فقد كتموا معرفتهم بصفة النبي محمد ﷺ وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم. وقد روت السيدة صفية بنت حيي بن أخطب ـ زعيم اليهود بالمدينة وزوج النبي ﷺ بعد أن أسلمت ـ أن عمَّها سأل أباها عن النبي ﷺ عند مَقْدَمه المدينة: «أهُوَ هُوَ النبي الذي كنا ننتظر؟ فقال حيي بن أخطب: والله إنه لهو هو النبي، ولكنا والله لا نؤمن به».

ويشمل دون ريب تبديل كلمة مكان أخرى، أو جملة مكان جملة، أو إسقاطاً أو إضافة حسبما تشتهي الأهواء، قال تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ [المائدة: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة: ٤١].

كما يشمل أيضاً وضع كلام كثير متعمّد يتلونه ويوهمون به الناس أنه من عند الله، وما هو من عند الله، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ

مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

هذه باختصار شديد أنواع التحريفات التي قام بها أحبار اليهود في كتاب الله المنزل على موسى عليه السلام. ومع مضي الأيام وضياع التوراة الأصلية بسبب الحروب والشتات في الأرض، وبسبب ترك بني إسرائيل لدينهم وارتدادهم عنه وعبادتهم الأوثان مرات عديدة، حتى عبدوا الأصنام وخاصة البَعْليم (البعل)، وعَشْتروت، ومَلْكوم. وفي عهد القُضاة ارتدوا سبع مرات، كما تذكر التوراة، وعبدوا الأوثان. وازداد الارتداد في عهد الملكية، حتى إنهم قالوا: إن سليمان عليه السلام عَبَدَ الأوثان وبنى لها المعابد، كما كذبوا من قبل على هارون عليه السلام واتهموه بأنه هو الذي صنع لهم العجل، وأمرهم بعبادته وعبده معهم هو وأخته مريم، ولما وبّخه موسى عند عودته من لقاء ربه، زعموا أن هارون عرّى موسى حتى يضحك عليه القوم ويسخروا منه.

* * *

(٢)

التوراة والأسفار المقدسة عند أهل الكتاب

وفيما يلي سندرس آراء أهل الكتاب فيما يسمونه الكتاب المقدس، وسنذهل عندما نجد أن علماءهم وأحبارهم يقولون إن موسى لم يكتب التوراة، بل إن التوراة كتبت بعد وفاة موسى بمئات السنين، وبوساطة مجموعة كبيرة من المؤلفين، واستدلوا على ذلك من نقد النصوص نقداً أدبياً وتاريخياً، بل ذهب بعضهم إلى أن موسى لم يوجد أصلاً، كما ذهب آخرون إلى أن موسى مصري آمن بعقيدة أخناتون، فاضطر إلى محاربة رمسيس ومنفتاح وغيرهم من الفراعنة الذين كانوا يحاربون عقيدة أخناتون التوحيدية (جعل الله متمثلاً في الشمس)، وانضم إلى موسى مجموعة من المصريين (سبعين رجلاً) هم

القادة، ثم تبعهم العابيرو من بقايا الهكسوس والأمم المستعبـدة الأخـرى فـي مصـر، والـذيـن اضطهـدهـم المصريون.

العهد القديم والتوراة عند اليهود والنصارى:

ينقسم الكتاب المقدس عند النصارى إلى قسمين:

العهد القديم: وهو العهد الذي جعله الله أولاً مع نوح، ثم مع إبراهيم، ثم مع إسحاق ويعقوب (إسرائيل)؛ ثم الأسباط (أي نسل يعقوب).

العهد الجديد: وهو الذي جاء به عيسى. جاء في إنجيل متى [٢٦ : ٢٨]: «لأن هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا». وجاء في سفر أرميا [٣١: ٣١، ٣٢]: «ها أيامٌ تأتي يقول الرب: وأقطع مع بيت إسرائيل عهداً جديداً ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم».

ويحتـوي العهد الجديد على الأنـاجيل الأربعـة ورسـائل بولس ورؤيـا يوحنا، أما العهد القديم فيحتوي

على مجموعة من الأسفار المختلفة الأحجام، فمنها ما هو مكوَّن من إصحاح واحد (عوبديا)، ومنها مكوَّن من إصحاحَين (حجي)، ومنها ما هو مكوَّن من ثلاثة إصحاحات (صَفَنْيا وحبقوق وناحوم)، ومنها ما يحتوي على خمسين إصحاحاً أو تزيد (التكوين ٥٠، وإرميا ٥٢)، وسفر المزامير يحتوي على ١٥١ مزموراً.

ما هي التوراة؟

ويطلق اسم التوراة (الشريعة المكتوبة) على الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، وهي أسفار: الخروج، والتكوين، واللاويين، والعدد، والتثنية (تثنية الاشتراع)، وتبدأ بخلق العالم وآدم، وتنتهي بموت موسى مغضوباً عليه من الربِّ كما يزعمون، فأماته في البَرِيّة والتيه، كما أمات أخاه هارون من قبل.

وتُسمّى أيضاً الناموس (نوموس)، وتعني أيضاً القانون أو الشريعة، وهي كلمة يونانية تقابل كلمة التوراة. وقد جاء في إنجيل يوحنا [١٠: ٣٤]: «أجابهم يسوع أليس مكتوباً في ناموسكم»، وورد عنه عليه السلام: «إني

لم آتِ لأبدّل الناموس»، وجاء في رسالة بولس إلى أهل كورنثوس [١٤ : ١٢]: «مكتوب في الناموس».

ويطلق لفظ التوراة أو الناموس أحياناً على العهد القديم بأكمله من باب إطلاق الجزء على الكل.

ويختلف اليهود والنصارى في أسفار العهد القديم، فالأسفار المعتمدة لدى اليهود ٢٣ سفراً فقط. . وأما السامريون والصَدُوقيّون (نسبة إلى صادق بن هارون)[١]، فيؤمنون بالأسفار الخمسة الأولى فقط ويضيفون إليها سفر يشوع.

وأما النصارى فيختلفون كذلك في عدد هذه الأسفار المعتمدة، فيراها البروتستانت وبعض الكنائس ٣٩ سفراً، بينما يؤمن الكاثوليك بـ ٤٦ سفراً. وهناك عدد من الأسفار تسمى الأسفار المنحولة أو المشكوك فيها (أبو كريفا)، وقد قبلت الكنيسة الكاثوليكية بعض هذه الأسفار واعتبرتها قانونية وهي: طوبيا، ويهوديت، وباروخ، وبن سيراخ، والمكابيون، بينما رفضها البروتستانت.

---

(١) ليس المقصود هارون النبي عليه السلام.

ويقسّم الكاثوليك العهد القديم إلى التقسيمات التالية:

١ ـ أسفار موسى الخمسة (التوراة) أو أسفار الشريعة أو الناموس: وهي متفق عليها عند جميع اليهود وطوائفهم وجميع النصارى وطوائفهم. وتبتدأ بسفر التكوين، ثم الخروج، فاللاويين، ثم العدد، فالتثنية، وهو الذي ينتهي بوصف موت هارون ثم موسى عليهما السلام (مغضوباً عليهما من الرب كما يزعمون).

٢ ـ الأسفار التاريخية: وهي ١٦ سفراً، وتبتدأ بسفر يشوع فالقضاة، حتى تصل إلى سفر المكابيين الأول والثاني.

٣ ـ الأسفار النبوية: وهي ١٧ سفراً، تبدأ بأشعيا وأرميا، وتنتهي بزكريا وملاخي.

٤ ـ الأسفار الشعرية وعددها ستة، وهي: أيوب، والمزامير، وأسفار سليمان: الأمثال والجامعة، ثم نشيد الإنشاد (وهو سفر غزل جنسي بَحْت)، ومراثي أرميا.

٥ ـ الأسفار التعليمية وعددها اثنان، وهما: سفر الحكمة، ويسوع بن سيراخ.

وأما البروتستانت فيقسّمون العهد القديم كما يلي:

١ ـ أسفار التوراة الخمسة (البنتاتوك أو البنتاتوش Pentateuque) المتقدم ذكرها.

٢ ـ الأسفار النبوية: وتقسم أيضاً إلى:

أسفار الأنبياء المتقدمين، وتبدأ بسفر يشوع، فالقضاة، فصموئيل الأول والثاني، ثم الملوك الأول والثاني.

وأسفار الأنبياء المتأخرين، وتبدأ بأشعياء وتنتهي بملاخي.

٣ ـ أسفار الشعر والحكمة: وتشمل المزامير، وأمثال سليمان وأيوب، وتسمّى أحياناً الكتب العظيمة، كما تشمل المجلات الخمس: وهي نشيد الإنشاد، وراعوث، ومراثي أرميا، والجامعة، وأستير. وتشمل أيضاً الكتب، وهي: دانيال، وعزرا، ونحميا، وأخبار الأيام الأول والثاني.

رأي علماء اليهود والنصارى في العهد القديم والكتاب المقدس:

تقول دائرة المعارف البريطانية (الطبعة ١٥، ٢/ ٨٧٩، لعام ١٩٨٢): «إن العهد القديم كتاب يمثل تراث الشعب الإسرائيلي وتراث شعوب أخرى كثيرة. وتذكر أن أسفار موسى الخمسة المعروفة باسم التوراة لم يكتبها موسى (عليه السلام)، وإنما كتبت بعد وفاته بقرون طويلة.. وأول ما كتب من التوراة هو عند تكوُّن مملكة داود (أي بعد وفاة موسى بأربعة قرون)، وإلى هذا التاريخ ترجع بعض نبوءات يعقوب والوصايا العشر وبعض الأناشيد.

وقد تمَّ تحرير النص اليهودي (الذي يذكر فيه اسم الله باسم يَهْوه) في أيام سليمان (٩٦٠ - ٩٢٢) قبل الميلاد، وفي القرن الذي يليه، وقد أضيفت الرواية الإلـهيمية التي يذكر فيها الله باسم ألوهيم، وهو أكثر شفافية من ياهو الذي يمشي على أرض الجنة ويصارع يعقوب، ويحب اللحم المشوي جداً، ظهر النص

الإلٰهيمي في القرن الثامن قبل الميلاد، ثم النص الكهنوتي في القرن السادس والسابع، ولم يتم الاعتراف بالتوراة كشريعة إلا أثناء السبي في بابل في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، ولم يتم توحيد هذه النصوص المختلفة للأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى إلا في فترة متأخرة جداً، وذلك في القرن الأول بعد الميلاد، أي بعد عهد موسى بحوالي ألف وخمسمئة عام».

وتقول دائرة المعارف البريطانية: «إن أسفار العهد القديم كتبت في عصور مختلفة وبأيدي كتّاب مختلفين ذوي ثقافات متباينة. ثم إن النص اليوناني المعتمد يختلف عن النص العبري اختلافاً بيّناً، وفيه زيادات كثيرة في مختلف الأسفار، ويرجع النص اليوناني إلى القرن الرابع بعد الميلاد (٣٥٠ بعد الميلاد)».

ويقال إن النص اليوناني كتبه (٧٢) اثنان وسبعون من أحبار اليهود في عهد بطليموس الثاني في الإسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد، وهي المعروفة باسم

الترجمة السبعينية. ولكن يبدو أن هناك نص آخر تمَّت كتابته في القرن الرابع بعد الميلاد، أو لعلَّ دائرة المعارف البريطانية تشير إلى مدونة سينا ومدونة الفاتيكان، وكلاهما يرجع إلى القرن الرابع بعد الميلاد، أما مدونة فولجات اللاتينية فترجع إلى القرن الخامس بعد الميلاد.

رأي إدمون جاكوب الباحث اليهودي في شؤون العهد القديم:

يقول إدمون جاكوب في كتابه (العهد القديم): «إن أسفار العهد القديم وأسفار التوراة كُتبت في عهود مختلفة وبلغات مختلفة: المصرية القديمة، اليونانية، الآرامية، واللاتينية، والعبرية. وإن أول ما يكتب في مثل هذه الظروف هو الشعر؛ كل شعب يغنّي في مراحل تطوره البدائية. وفي إسرائيل كما حدث في غيرها من البلاد سبق الشعر النثر، ولقد غنَّت إسرائيل كثيراً، وكانت تحسن الغناء، ولأن الظروف التاريخية كانت قد قادت إسرائيل إلى قمة الحماس، كما قادتها إلى مهاوي اليأس... كان الناس يغنُّون في مختلف المناسبات، ويحتوي العهد

القديم على الأغاني المتعددة للمناسبات المختلفة، مثل أغاني الطعام، وأغاني الحصاد، وأناشيد العمل، ونشيد الإنشاد، وأناشيد الحرب، مثل ترنيمة دبورا».

ويرى إدمون جاكوب أن الأناشيد جاءت قبل هذه الأسفار المختلفة، ثم أُدمجت فيها في فترة متأخرة من الزمن، ويكرر أن الأساطير المختلفة للأمم دخلت في أسفار التوراة والعهد القديم، ثم يقول: «إن ما يرويه العهد القديم عن موسى والأنبياء الأولين (إبراهيم وإسحاق ويعقوب) لا يتفق إلا بشكل تقريبي مع المجرى التاريخي للأحداث، ولكن الرواة كانوا يعرفون كيف يُضْفون الأناقة والخيال على مروياتهم، بحيث يربطون بين أحداث شديدة التنوع، وقد نجحوا في تقديم هذه الأحداث في شكل لما حدث في أصل العالم والإنسان».

ويقول إدمون جاكوب: «ليس هناك نصاً واحداً للعهد القديم، بل نصوص كثيرة، ففي القرن الثالث قبل الميلاد كان هناك على الأقل ثلاث مدوَّنات للنصّ العبري للتوراة (الأسفار الخمسة)، وهي: النصّ الماسوري،

والنصّ السامري، والنصّ الذي استخدم جزئياً في الترجمة اليونانية (المعروفة بالترجمة السبعينية) التي تمت في عهد بطليموس في الإسكندرية».

«وفي القرن الأول قبل الميلاد حدث اتجاه إلى كتابة نص موحَّد للتوراة (الأسفار الخمسة)، ولكن ذلك لم يتم إلا في القرن الأول بعد الميلاد، أي بعد ألف وخمسمئة عام منذ عهد موسى عليه السلام، ولم يتم الاعتراف بهذا النص العبري إلا في القرن العاشر بعد الميلاد على يد عائلة ابن أشير في طبريا (فلسطين) أي بعد مرور ٢٤٠٠ عام منذ عهد موسى عليه السلام».

ويقول إدمون جاكوب: «وضاعت النصوص العبرية أثناء غزوات نبوخذ نصَّر والهجرة إلى بابل وما بعدها من نكبات، ولم يبقَ سوى النص اليوناني، ثم ترجم ذلك النص إلى العبرية: «وقد كُتب أقدم نص عبري موجود للتوراة في القرن التاسع بعد الميلاد، هذا إذا وضعنا جانباً إسطوانات مغارة قمران (كتب معظمها باللغة الآرامية، وبعضها باللغة العبرية واليونانية)، والتي ترجع إلى ما قبل

ظهور المسيح (القرن الأول قبل الميلاد)، وبردية الوصايا العشر، وبعض مخطوطات ناقصة ترجع إلى القرن الخامس بعد الميلاد، والموجودة حالياً في كنيسة القاهرة».

رأي وِلْ ديورانت في كتابه قصة الحضارة:

يقول وِلْ ديورانت في كتابه قصة الحضارة (٢/ ٣٦٥ ـ ٣٨٥): «ليس العهد القديم شريعة فحسب، بل هو فوق ذلك تاريخ وشعر وفلسفة، وإذا ما أنقصنا من قيمة الكتاب ما فيه من أساطير بدائية، ومن أغلاط تاريخية، وأقررنا أن ما فيه من أسفار تاريخية لا تبلغ من الدقة أو القِدَم ما كان أجدادنا السابقون يفترضونه فيها».

ثم ذهب يشرح ذلك ويقول: «إن قصة آدم والشجرة مأخوذة من ألواح بابل، وحيث خدع مردوك الإلـٰه الماكر الإنسان، فأعطاه ثمرة شجرة الفناء بدلاً من ثمرة شجرة الحياة والخلود. وأما عقيدة المشيح (المسيح المنتظر)، فقد أخذوها من الديانة الفارسية واستعاروها منهم في زمن النفي، واستعاروا من البابليين أيضاً قصة نوح والطوفان

الموجودة لدى البابليين باسم مغامرات جلجامش والطوفان. وكذلك قصة خلق العالم الموجودة في سفر التكوين، فهي مستعارة من قصة الأبراج الشامخة المذكورة في الأساطير البابلية».

ويذكر أن نصوص العهد القديم وأسفار موسى الخمسة ترجع في أصولها إلى تراث الأمم السابقة، مثل البابليين، والفينيقيين، والآشوريين، والفراعنة، والكنعانيين، كما يلحظ تأثيرات اليونان وخاصة في سفر الجامعة.

ويقول: «إن شريعة موسى اندثرت وضاعت، ولم يبق منها إلا الوصايا العشر، وما عدا ذلك فقد اندثر ولم نجد له أي أثر». ويكرر أن الكهنة في أثناء النفي في بابل هم الذين كتبوا أسفار الشريعة، وأن حلقيا الكاهن كتب في زمن الملك يوشياهو سنة ٦٢٢ قبل الميلاد سفر التثنية من مجموعة روايات وأساطير يتناقلها الرواة والكهنة وعامة الناس، والراجح عنده أن عزريا (عزير) قام بكتابة النصوص التشريعية الجامدة في زمن النفي (القرن الخامس

قبل الميلاد)؛ ولكنها لم تتخذ صورتها النهائية إلا في القرن الثالث قبل الميلاد.

رأي جيمس هنري برستد وغيره من علماء الآثار:

يزعم كثير من الكتَّاب النصارى من الأوروبيين ومنهم جيمس هنري برستد في كتابه (فجر الضمير) أن كاتب سفر المزامير (المفروض أنها مزامير داود)، تأثر بنشيد أخناتون، ويقول برستد ما يلي: «صار لدينا الأصل الهيروغليفي المصري الذي تُرجمت ونشرت منه فقرات كاملة في كتاب العهد القديم العبراني.

«فقد تعرّف الأستاذ هوجو جرسمان البحاثة الضليع وصاحب الرأي الثاقب في الأدب العبراني، بلا تردد، على المنهل المصري الذي استقى منه المزمور ١٠٤ المذكور...

«وبذلك تكشف أنشودة أخناتون عن المنهل الذي استقى منه مؤلف المزمور العبراني إدراكه لرحمة إلـه فرعون لمخلوقـاته حتى أصغرها. إن موقف العبرانيين من

جهة تصورهم لعناية الخالق الرؤوف بخلقه، وبصفته يعلم ما في الكون إنما يرجع لنشيد أخناتون وما يشبهه من الأناشيد الدينية بمصر القديمة».

ويكرر كل علماء الآثار والآداب القديمة في منطقة الشرق الأوسط القول بأن المزمور ١٠٤ منقول حرفياً من نشيد أخناتون للشمس، وأن سفر الأمثال في العهد القديم منقول بشكل فاضح من كتاب الحكيم المصري القديم أمنموبي، بل إن سفر أرميا والمزمور الأول والثاني نُقلاَ من كتاب أمنموبي هذا.

ويعتقد كثير من الباحثين الغربيين أن كُتّاب العهد القديم تأثروا كثيراً بفلسفة مصر القديمة وبالذات عبادة أخناتون للشمس، لدرجة أنهم صوَّروا يهوا (الله) بصورة الشمس ذات الجناحين، فقد جاء في سفر ملاخي (وهو من الأنبياء المتأخرين) [الإصحاح ٤ : ٣]: «ولكم أيها المتقون اسمي، تشرق شمس البر في أجنحتها». وهي استعارة من الفلسفة المصرية القديمة.

وينحو هذا المنحى الغربي أيضاً بعض علماء الآثار

والأديان من المسلمين!! فنجد أستاذ الآثار المصرية، الدكتور عبد العزيز صالح يقول في كتابه (الشرق الأدنى القديم): «ومن حيث أناشيد الدين الجديد ـ أي دين أخناتون ـ خرجت تناجي ربها بالود والحب والتبجيل. . .

وقد ظهرت نفس الحجج ضمن ما ردَّدته فيما بعد مزامير العبرانيين، مما دعا إلى الربط بينهما واعتبار الأناشيد المصرية أصلاً لها».

ويقول الدكتور أحمد فخري في كتابه (مصر الفرعونية): «ليس هناك شك في أن أناشيد أخناتون لإلـٰهه كانت ذات أثر مباشر على المزامير، وأن المزمور ١٠٤ يكاد يكون منقولاً عن النشيد الكبير لأخناتون، وليس من قبيل توارد الخواطر».

دراسة النصوص:

الأب ديڤو:

يعتبر الأب ديڤو من أوائل الباحثين الغربيين الذين توصلوا حسب زعمهم إلى أن موسى عليه السلام لم يكتب

الأسفار الخمسة المنسوبة إليه، إذ كيف يعقل أن يكتب موسى قصة موته، وكيفية دفنه، والمكان الذي دفن فيه، وهو ما ورد في سفر التثنية [الإصحاح ٣٤].

وفي عام ١٧٥٣ قدّم جان استروك ما أسماه البرهان الحاسم الذي يؤكد براءة موسى من كتابة الأسفار الخمسة (التوراة)، وأن من يطالع سفر التكوين سيجد نصّين جنباً إلى جنب أحدهما يسمّى الإلـٰه باسم «يهوه»، والثاني باسم «ألوهيم». ويعتقد العلماء أن القصص الخاص بيَهْوا كُتب في مملكة الجنوب يهوذا وعاصمتها أورشليم، بينما كُتب القصص المتعلق بألوهيم في مملكة الشمال وعاصمتها شكيم (نابلس).

ثم تنبه العالم ايخهورن (١٧٨٠ ـ ١٧٨٣) إلى أن الأسفار الأربعة الأخرى من التوراة تحتوي أيضاً على نصين مختلفين، وليس ذلك مقتصراً على سفر التكوين كما ظن أستروك.

وجاء (ولهاوزن) ليعكس الترتيب الزمني الذي كان يقال إن أسفار العهد القديم كُتبت فيه؛ فأسفار التوراة

الخمسة (أسفار موسى) المعتقد سابقاً أنها كُتبت قبل الأسفار الأخرى تحولت إلى أحدث الأسفار.

وبحلول عام ١٨٥٤ كان علماء الكتاب المقدس والعهد القديم بصورة خاصة يُرجعون الأسفار الخمسة إلى أربعة مصادر رئيسية هي:

١ ـ **الوثيقة اليهوية**: حيث يذكر اسم الله باسم يهوه.. ويظهر الله في صورة بشر يتمشى في الجنة، ويبحث عن آدم، وآدم يختبئ منه وراء شجرة، ويتعارك مع يعقوب طوال الليل، ويحبّ اللحم المشوي جداً، فإن رائحة الشواء تسكره وتفقده صوابه.. وهو مستعد أن يعطي نصف مملكته لمن يقدم له هذا الشواء.. وما نال حسب زعمهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب مكانتهم والوعد بالأرض التي تفيض عسلاً ولبناً إلا بواسطة هذا اللحم المشوي الكثير الذي قدّموه له قرابين.

٢ ـ **الوثيقة الإلـٰهيمية**: حيث يذكر الله باسم ألوهيم، وهو الاسم الشائع في مملكة الشمال (إسرائيل)

وعاصمتها شكيم (السامرة = نابلس)، وتسمى أحياناً النص السامري. وأسلوبها أكثر اعتدالاً، ولا يظهر الرب في صورة بشرية بل هو ربّ العالمين، وإن كان لابنه البكر المكانة الخاصة جداً.

ولا يوجد في النصين اليَهْوي والإلـٰهيمي نصوص تشريعية إلا نادراً، وهما يحتويان على روايات وقصص وأساطير.

٣ ـ سفر التثنية (تثنية الاشتراع): وقد كُتب هذا النص في زمن الملك يوشياهو على يد الكاهن حلقيا في حدود عام ٦٢٠ قبل الميلاد. ويتميز بالأوامر والتشريعات والإنشاء الخطابي: «اسمع يا إسرائيل» «وأرض تفيض لبناً وعسلاً».

٤ ـ النص الكهنوتي: وهو يتألف من فصول كتبها الكهنة أثناء فترة السبي إلى بابل في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، ويتميز النص الكهنوتي بالتكرار الممل، والتصلب والجمود، والميل إلى كل ما يتعلق

بالطقوس والذبائح وأنواع القربان وثياب الكهنة . . . إلخ .

ثم جمعت هذه النصـوص المختلفـة في عصور متأخرة تصل إلى ما بعد ظهور السيد المسـيح (عليـه السلام)، وتمَّ توحيدهـا في كتاب أسـموه «التوراة» أو أسفار موسى الخمسة. يقول الأب ديڤو: «لقد تكونت أسفار موسى الخمسة من أقوال موروثة لأمم مختلفة، جمعها محررون، وضعوا تارة ما جمعوا جنباً إلى جنب، وطوراً غيّروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركّبة، تاركين للعين أموراً غير معقولة وأخرى متنافرة» (نقلاً عن موريس بوكاي: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث ص ٧ ـ ٣٩).

ولم يكتفِ علماء الكتاب المقدس والعهد القديم على وجه الخصوص بكل هذا النفي الكامل لأن يكون موسى عليه السلام قد كتب التوراة (الأسفار الخمسة)، بل قاموا بإثبات أن كثيراً من النصوص تتناقض مع مجريات التاريخ المعروف الآن، فالتوراة تسجل أماكن في الأردن لم يدخلها موسى، وفيها اصطلاحات فلكية كنعانية لم

يعرفها بنو إسرائيل إلا بعد دخولهم فلسطين واستقرارهم فيها، أي بعد عهد موسى بقرون طويلة، وكذلك هناك أسماء لقرى ومدن وأشخاص لم توجد في عهد موسى وإنما بعده بعدة قرون.

وكذلك ما ورد من تدمير أريحا على يد يشوع (يوشع بن نون)، فإن ذلك التدمير قد سبق عهد يوشع بثلاثة قرون على الأقل، ولم تكن أريحا مسكونة في زمنه.

لودز يرفع الرقم إلى ٢٢ نصاً مختلفاً للتوراة:

وقام باحثون آخرون بدراسة النصوص دراسة نقدية، ولم يكتفوا بوجود أربعة مصادر لأسفار موسى الخمسة، بل جاء لودز ورفع المصادر عام ١٩٤١ إلى اثنين وعشرين مصدراً، كُتب كل واحد منها في زمن معيّن وبأسلوب مختلف.. وقِسْ على ذلك مختلف أسفار العهد القديم والتي لم تدرس بنفس الطريقة التفصيلية التي دُرست بها الأسفار الخمسة (التوراة)، والتي تعتبر الأصل الأول، والتي تجمع على قبولها كافة فرق اليهود وكافة فرق النصارى.

رأي الرهبانية اليسوعية والمجلس العالمي للكاثوليك في الكتاب المقدس:

قام المجلس المسكوني العالمي للمسيحيين الكاثوليك تحت إشراف الفاتيكان بإصدار دراسة متكاملة لنصوص الكتاب المقدس، وقد ترجمت هذه الدراسة القيمة إلى لغات عديدة، وقامت الرهبانية اليسوعية في لبنان بترجمة الكتاب المقدس بشروحه ودراساته التي وضعها المجلس المسكوني العالمي إلى اللغة العربية واعتمدت في ذلك النسخة الفرنسية.

وسننقل فيما يلي بعض الفقرات من هذه الدراسة القيّمة المسمّاة «مدخل إلى الكتاب المقدس» والتي نقلتها الرهبانية اليسوعية.

«ما هو الكتاب المقدس؟ تكفي نظرة نلقيها على الفهرس لنرى أنه مكتبة، بل مجموعة كتب مختلفة جداً. . ذلك أنها تمتد على أكثر من عشرة قرون، وتنسب إلى عشرات المؤلفين المختلفين، بعضها وضع بالعبرية مع

بعض المقاطع بالآرامية، وبعضها الآخر باليونانية، وهي تنتمي إلى أشد الفنون الأدبية اختلافاً كالرواية التاريخية ومجموعة القوانين والصلاة، والقصيدة الشعرية والرسالة والقصّة».

«أسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلفين ومحررين ظلَّ عدد كبير منهم مجهولاً، لكنهم على كل حال لم يكونوا منفردين، لأن الشعب كان يساندهم، ذلك الشعب الذي كانوا يقاسمونه الحياة والهموم والآمال، حتى في الأيام التي كانوا يقاومونه فيها. معظم عملهم مستوحى من تقاليد الجماعة. وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية انتشرت زمناً طويلاً بين الشعب، وهي تحمل آثار ردود فعل القراء في شكل تنقيحات وتعليقات، وحتى في شكل إعـادة صياغـة بعض النصوص إلى حد هام أو قليل الأهمية».

وتقول: «لم يكن هناك حدود للكتابات المعترف بها لدى حاخامات اليهود باعتبارها وحياً من الله، لأن الإضافات كانت مستمرة والقائمة مفتوحة».

وهذا الكلام في منتهى الأهمية، فهو يعترف اعترافاً صريحاً لا لبس فيه أن هذه الأسفار المجمّعة باسم العهد القديم، شاملة ما يعرف باسم التوراة أو أسفار موسى الخمسة، بل إن الكتاب المقدس بأكمله ليس من عند الله مباشرة، ولا أوحى الله به لأحد من أنبيائه، بل هو أعمال مؤلفين ومحررين كثيرين على مدى عشرة قرون، استلهموا أعمالهم من تقاليد الشعب وأحلامه.. وكانت تلك الصياغات ديناميكية، أي أنها قابلة دوماً للتغيير والتبديل، وليست ثابتة إستاتيكية، وكان القراء ينقّحونها ويغيّرونها ويعلّقون عليها ويعيدون صياغتها.

وهذا اعتراف خطير يلغي الحاجة للجدل الطويل الذي كان يقوم به علماء المسلمين ليثبتوا أن هذه الكتب قد حُرِّفت تحريفاً شديداً، بل إن هؤلاء العلماء من اليهود والنصارى ينكرون أن موسى عليه السلام كتب التوراة، بل يعتبرونها قد كتبت بعد زمنه بقرون متطاولة، ثم جمعت بعد ذلك بعد وفاة موسى بأكثر من ألف وخمسمئة عام!!.

بينما يعترف كل مسلم بأن التوراة هي كتاب الله

المنزَّل على موسى عليه السلام، وأن اليهود ـ عليهم لعائن الله ـ أضاعوها وبدَّلوها وحرفوها ما عدا آيات قليلة هنا وهناك، تلمع مثل اللآلئ والألماس في الركام، ورغم ذلك قام الأحبار كما هو في التلمود بإعادة تفسيرها وصياغتها حتى تعود مظلمة قبيحة.

وتقول الرهبانية اليسوعية: «والكتاب المقدس موسومٌ بالعمق بثقافة إسرائيل، وهو يعبّر عن نظرته للعالم، لا بفلسفة منظمة، بل بعادات ومؤسسات وبردود فعل عفوية عند الأفراد والشعب كله. إن لحضارة إسرائيل نقاطاً مشتركة كثيرة مع حضارة سائر شعوب الشرق القديم، ومع ذلك فالشرق القديم لا يشرح كل شيء في الكتاب المقدس».

وهو اعتراف ضمني بما ذكره الباحثون الغربيون من اليهود والنصارى بأن كتّاب العهد القديم استعاروا أساطير وأدبيات الأمم الأخرى، مثل البابليين والمصريين القدماء، مثل قصة آدم والجنة والتي يرجعها الباحثون إلى قصة الإله مردوك الذي خدع آدم وأعطاه من ثمرة شجرة

الفناء، وقصة جلجامش والطوفان، وقصة الأبراج في بابل وكلها من البابليين، وأنشودة أخناتون التي نقلها كاتب المزمور ١٠٤ بكاملها.

* * *

(٣)

كيف تكوّن الشعب الإسرائيلي

تشرح الرهبانية اليسوعية في الدراسة القيمة «المدخل على كتب الشريعة الخمسة (التوراة)» كيف تكوّن الشعب الإسرائيلي، فهي ترى رأياً غريباً بالنسبة لنا نحن المسلمين، إذ تقول:

«يجب البحث عن أجداد بني إسرائيل بين شبه البدو الساميين من رعاة الغنم، الذين نراهم ينتقلون طوال الألف الثاني قبل المسيح على حدود شبه صحراء الهلال الخصيب» من شبه البدو أولئك نعرف مجموعتين معرفة خاصة، هما الأموريون الذين استقرّوا فيما بعد بين النهرين (دجلة والفرات)، وسورية وفلسطين حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح، والآراميون الذين استقروا في سورية حوالي

القرن الثالث عشر قبل المسيح.

«وفي هذه الحقبة المعروفة قليلاً تُبرز التوراة بعض الشخصيات العظيمة منها: إبراهيم وإسحاق ويعقوب وأجداد أسباط بني إسرائيل...» (استقروا في فلسطين خلال القرن ١٩ و١٨ قبل المسيح).

«أقام بعض من خَلَفهم في مصر برفقة مجموعات ساميّة أخرى (جرى هذا التوطن في زمن الهكسوس، وهم ساميون أيضاً حكموا مصر من العام ١٧٠٠ إلى ١٥٥٠ قبل الميلاد).

«جاءت نشأة الشعب (الإسرائيلي) تطوراً معقداً بدأ على الأرجح حوالي سنة ١٢٥٠ قبل الميلاد على عهد الفرعون رعمسيس الثاني، فقد استطاعت بعض المجموعات الساميّة المقيمة في مصر والخاضعة لتسخيرات شاقة أن تهرب بقيادة موسى، فجمعها موسى حول جبل سينا، ثم حول واحات قادش، ولقّنها عبادة الرب الذي حرّرها ونظّمها تنظيماً بدائياً».

«وازداد اتحاد القبائل متانة يوماً بعد يوم في القرنين

الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد، فقد كان عليها أن تواجه عدة مخاطر: البدو الغزاة، وممالك عبر الأردن، والمدن الكنعانية، وكان أكبر الخطر يصدر عن الفلسطينيين الذين كانوا في الواقع أخطر منافسي إسرائيل للاستيلاء على أرض فلسطين. (يقال: إن هؤلاء الفلسطينيين ـ الفلستينيين ـ أتوا من جزيرة كريت واحتلوا سواحل أرض كنعان وأطلقوا اسمهم على هذه الأرض)».

«وقد اقتصرت الأسباط مدة طويلة على تحالفات دفاعية محدودة ومؤقتة أطلق عليهم اسم القضاة، لكنها أمام اشتداد خطر الهجوم الفلسطيني، عزمت على تثبيت تماسكها، فأقامت على رأسها ملكاً على مثال الشعوب المجاورة (هو شاول)، وبعد فشل مملكة شاول اعترفت جميع الأسباط بداود اليهودي (نسبة إلى يهوذا) ملكاً قبيل السنة ١٠٠٠ ق.م، فدحر الفلسطينيين».

ويؤكد هذا الرأي الأب ديڤو كما ينقله عنه موريس بوكاي في كتابه القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (ص ٢٥٧ وما بعدها)، أن مجموعة من الأسرى والبدو

وبقايا الهكسوس في مصر كانوا يُستخدمون في أعمال البناء وسُيّاساً للخيل ورعاة ومزارعين، وكانوا في وضع مزري ويعاملون معاملة قاسية، ويُدْعون الهابيرو (أو الأبيـرو) (Habiru) (Apiru)، ثم تجمّع هـؤلاء ونزحـوا من مصر، وقام بقيادتهم موسى الذي كان يدعو إلى عبادة التوحيد التي دعا إليها أخناتون (عبادة الشمس الإلـه). . وموسى قائد مصري وتبعه بعض المصريين (سبعين رجلاً)، كما تبعه هؤلاء الهابيرو الذين سمّوا فيما بعد العبرانيين، لأنهم عبروا من كل مكان حتى وصلوا مصر. ومن هؤلاء في صحراء سينا وواحة قادش تكوّن شعب إسرائيل على مدى مئات السنين.

الدكتور صبري جوهرة يعرض رأي الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية في الكتاب المقدس:

وعندما سألتُ أحد الباحثين في الكتاب المقدس وهو الدكتور صبري جوهرة؛ الأمريكي الجنسية المصري الأصل ـ وهو أيضاً طبيب وزميل قديم ـ عن الكتاب المقدس، وكيف يمكن تفسير ما ذكره هؤلاء الباحثون من

أنَّ العهد القديم كتبه عدد غفير من البشر، وفي نفس الوقت يعتقد عامة اليهود والنصارى أنه موحى به من الله، فكتب إليّ قائلاً:

«سأعطيك وجهة نظر الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية في موضوع كتابة «الكتاب المقدس» عامه بشطريه (أي العهد القديم والعهد الجديد): وهي أن الله قد سمح للإنسان ـ في هذه الحالة كاتب السفر ـ بأن يضع كل إحساساته وخبراته وحساسياته وميوله في النصوص، ما دام ذلك لا يغيّر ما قصده الله من معاني السفر الأخلاقية والدينية، وبالتالي تعترف الكنيسة بعدم دقة الكتاب في معلوماته الفلكية والجغرافية والتاريخية والجيولوجية... إلخ.. بحيث جاء الناتج على ما عليه يعكس كمال الله في صحة تعاليم الأخلاق وعلاقات البشر بعضهم ببعض، وعدم كمال الإنسان بكتابته لمعلومات علميّة غير دقيقة، وأحياناً مضحكة».

ثم ذكر أن اليهود عبدوا آلهة كثيرة، ثم كان لهم إلـه واحد هو إلـه إسرائيل فقط، وليس رب العالمين، بل

كانوا يعتقدون أن هناك آلهة عديدة للشعوب الأخرى.

ويقول بالنص: «أما فكرة وجود إلـه واحد لكل الكون فلم تكن أصلاً في ديانة العبرانيين، بل إن مؤسس هذه الفكرة هو فرعون مصر الشهير (امنحوتب الرابع) الذي غيّر اسمه إلى أخناتون» وذكر بعد ذلك أن المزمور ١٠٤ منقول حرفياً من نشيد أخناتون الكبير للشمس.

والغريب حقاً أن العقّاد رحمه الله ذكر في كتابه «الله» أن أخناتون هو أول الموحدين، وكذلك فعل كثير من أحبابنـا من الكتّـاب من مصر العزيـزة. وأخناتـون عبد الشمس وجعلها إلـه الكون، فأي توحيد هذا؟! ثم إن آدم عليه السلام وأبناءَه كانوا على أنقى صور التوحيد، ثم كان كذلك إدريس (اخنوخ) ونوح وإبراهيم عليهم السلام جميعاً. وكذلك كان هود وصالح وغيرهم من الأنبياء الذين سبقوا أخناتون عابد الشمس!!.

ومن الغريب أيضاً أن يزعم الأستاذ العقاد رحمه الله أن العبرانيين (بني إسرائيل) عبدوا إلـهاً خاصاً بهم هو يهوا أو ألوهيم، ولكنهم اعترفوا أيضاً أن هناك آلهة للشعوب

الأخرى.. ولم يصبح يهوا أو ألوهيم رباً للعالمين إلا في مرحلة متأخرة!! وهو كلام سخيف يرفضه كل مسلم، لأن القرآن الكريم قد ذكر بكل وضوح أن بني إسرائيل عبدوا الله وحده رب العالمين، وإن كان بعضهم قد ارتدَّ وعبد العجل، وأن ملة إبراهيم وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) وأبناءَه من بعده كانت على أنقى صور التوحيد.

ولم يحدث قط ما ادعاه الباحثون الغربيون، وتبعهم في ذلك العقاد في كتاب (الله)، من أن عقيدة الله تطوَّرت حتى وصلت إلى أنقى صورها في مراحل متأخرة جداً. فآدم وبنوه وإدريس ونوح وهود وإبراهيم وأبناؤه كانوا كلهم موحدين وعلى أنقى صور التوحيد. وكذلك كل الأنبياء والمرسلين وأتباعهم الصادقين في كل زمان ومكان، خلافاً لما يزعمه هؤلاء الباحثون من الغربيين ومن شايعهم من كتّاب المسلمين المعاصرين.

* * *

(٤)

خلاصة رأي علماء اليهود والنصارى في الكتاب المقدس

وخلاصة القول: إنّ الباحثين من اليهود والنصارى بما فيهم رجال الكنيسة وكبار الأحبار يرون أن «الكتاب المقدس» ليس كتاباً أو كتباً موحى بها من الله، كما نعرف نحن المسلمين (الوحي)، بل يقولون صراحة: إن هذه الكتب قد كتبها كتَّاب عديدون على مدى قرون متطاولة وأزمنة بعيدة بلغات مختلفة (العبرانية القديمة، اليونانية، الآرامية، بل وحتى المصرية القديمة). وأن ما يعرف باسم التوراة أو الناموس أو كتب موسى الخمسة لم يكتبها موسى، بل كُتبت على مدى ألف عام بعد وفاة موسى.

وأخذت الكنيسة منحىً جديداً، وهو أن هذه الأسفار ـ المليئة بالأخطاء التاريخية والجغرافية والفلكية والعلمية والتي كتبها مئات الكتاب والتي بُدِّلت وغُيِّرت نصوصها على مدى الأزمنة ـ كانت دوماً بإلهام من الله!! وهذا لا يمنعهم من الوقوع في الخطأ، فهم على أي حال بشر ومعلوماتهم لا تزيد عن معلومات عصرهم، وكل واحدٍ منهم يمثل معلومات وثقافة بيئته التي نشأ فيها بأحلامها وأساطيرها وأوهامها.

وقيمة هذه الأسفار تتجلّى من الروح التي تبثُّها.. وهي روح استشرافية تتطلع دوماً إلى السماء وإلى الخير والحق. وهذا هو المعنى الإجمالي الذي ينبغي أن نبحث عنه، فإذا حققته هذه الكتب فقد حققت الهدف الأسمى من وجودها.

* * *

العهد القديم كتاب لايدعو إلى الأخلاق الفاضلة وهو يصف الله ـ سبحانه ـ بأسوأ الصفات

العهد القديم كتاب لا أخلاقي:

وفي رأينا أن هذه الدعوى (بأن هذه الكتب تدعو إلى الأخلاق والسمو الروحي) لا تقوم، فأدنى قراءة فاحصة لما يسمَّى التوراة والعهد القديم توضح بجلاء أن هذه المجموعة من الأسفار تمثل أحقر ما في الإنسان من أخلاق. فهي تدعو إلى سفك الدماء، والغش، والعنصرية، والخداع، والكذب، والبهتان، وسرقة أموال الغير، وابتزازهم لمصلحة ابن الله البكر إسرائيل.

صحيح أن هناك شَذَرات هنا وهناك منبثة في

الكتاب، تلمع مثل اللآلئ والألماس وسط هذا الكم الهائل من الركام السيء والقاذورات التي تزكم الأنوف، ولكنها قليلة جداً ومحدودة!!.

يقول أرنست بيفن[1]: «إن العهد القديم هو أشد الكتب بعداً عن الأخلاق».

ويقول عن اليهود: «ماذا تتوقع من شعب تربّى منذ المهد على أقوال التوراة»[2].

الله في العهد القديم

نجد أسفار العهد القديم تصوّر الله بأنه إلـه اسرائيل فقط، ولهذا لا يهمه هذا الكون، وإنما يهمه ابنه البكر إسرائيل. ومع هذا فإن الابن يترك أباه ويذهب ساعياً وراء آلهة كثيرة!!.

---

(١) بيفن: وزير الخارجية في أول حكومة عمالية بريطانية، تولّت الحكم بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة.

(٢) راجع مذكرات كريستوفر ماهيو، وهو أيضاً وزير خارجية بريطاني، التي نشرتها الشرق الأوسط في ٩/ ٣/ ١٩٨٧.

وصفات هذا الرب كما تصوره هذه الأسفار فظيعة جداً:

فهو رب حقود، وكثير الندم، ومغرم جداً باللحم المشوي بشرط أن يقدمه له الكهنة وأنبياء اليهود!! والرب عندهم يخاف من آدم عندما أراد أن يأكل من ثمرة شجرة الخلد، فلهذا وضع عليها حراسة شديدة من الكروبيم والملائكة.. كذلك كان يرتعب فَرَقاً وخوفاً من أن يأكل آدم شجرة المعرفة.. والرب يمشي وسط الجنة عند هبوب ريح النهار، ويبحث عن آدم، وآدم مختبئ منه، حتى ناداه فردّ عليه آدم.

اليهود أبناء الله:

جاء في سفر التثنية (الإصحاح ٧): «أنتم أولاد الرب إلـٰهكم». وفي سفر صموئيل الثاني: «أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً». ويعتقد اليهود أنهم أبناء الله على الحقيقة لا على المجاز، وقد خلق الله آدم على صورته أي صورة الله ذاته. جاء في سفر التكوين الإصحاح الأول: «وقال

الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه». ويعتقدون أن آدم فيه جزء من ذات الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. . وترى في الفاتيكان في كنيسة سانت بيتر رسماً رائعاً لمايكل إنجلو على السقف يمثل الله، بزعمهم، وهو يخلق آدم، وكلاهما يشبه الآخر إلا أن آدم أصغر منه.

ويذكر التلمود(١) أن آدم اتَّخذ خليلة من الشياطين اسمها ليليت، وعاشرها آدم لمدة ١٣٠ سنة، فولدت له أبناء وبنات كثيرين، وكذلك حواء كان لها عشاق من الجن. . وهؤلاء لا يسمون أبناء الله، فأبناء الله هم فقط من نسل آدم وحواء، وأما أبناء الزنا فهم أبناء الناس.

وجاء في سفر التكوين الإصحاح السادس: «وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم

---

(١) التلمود: مجموعة من المأثورات الشفوية اليهودية الدينية والمدنية مع تفسيرات جدلية لمعانيها. وهو يأتي في المرتبة الثانية بعد التوراة باعتباره أقدس الكتب وأعظمها أثراً في الديانة اليهودية. عن الموسوعة العربية العالمية: ٧/ ١٥٣.

بنات أن أبناء الله رأوا أن بنات الناس حَسَنات، فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كل ما اختاروا، فقال الرب: لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر..».

وغضب الرب لاختلاط نسبه ونسب أولاده بأنساب أبناء الناس وبناتهم، فقرر أن يُغرق الأرض؛ ويحدث الطوفان، ويهلك جميع ما في الأرض من إنسان وحيوان ما عدا نوح وبنيه، لأن نوح كان من نسل الرب من آدم وحواء.. وهكذا نجا نوح وبنوه وزوجته لأنهم أبناء الله.

ثم حدث أنّ نوحاً شرب الخمر وتعرَّى (حسب زعمهم)، فدخل عليه ابنه حام وسخر منه، بينما جاء سام ويافث وغطّيا والدهما واحترماه، فلما أفاق نوح وعرف ما حدث قال: ملعون كنعان[١]، عَبْدُ العبيد يكون لإخوته، مبارك الرب إلـه سام»، وأقحم النص كنعان للاستيلاء على أرض كنعان (فلسطين).. وتحوَّلت روح الله إلى سام، وسكن الرب في خيام سام. ومن سام جاء

---

(١) المفروض أنه ابن حام الذي تحوَّل لونه إلى السواد، فالسود كلّهم من نسل حام، ولهذا يجوز استعبادهم ـ حسب زعمهم ـ.

إبراهيم عليه السلام، وقدَّم إبراهيم للرب محارق كثيرة ولحماً مشوياً لذيذاً، فأعطاه الرب كل الأرض (أرض فلسطين).

جاء في سفر التكوين [١٣ : ١٤ ـ ١٧]: «قال الرب لأبرام: ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، لأن جميع الأرض التي ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد، وأجعل نسلك كتراب الأرض، حتى إذا استطاع أحد أن يعدّ تراب الأرض فنسلك أيضاً يعدّ».

ووثَّق الله عهده مع إبراهيم ابنه بالختان: «وقال الله لإبراهيم: وأما أنت فتحفظ عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك، يختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم» [التكوين ١٧ : ٩ ـ ١٤].

وكانت سارة عاقراً فأعطت إبراهيم جاريتها هاجر فولدت له إسماعيل، فغارت سارة وأذلَّت هاجر وابنها وطردتهما، ثم إن الله منّ على سارة فولدت له إسحاق

«وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله: بل سارة تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق. وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده. عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت من السنة الآتية. فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم» [سفر التكوين ١٧ : ١٨ ـ ٢٢].

«وقالت سارة لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها.. وسمع الرب لقولها، لأن الرب قال له: في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل» [التكوين ٢١ : ٩ ـ ١٢].

وهكذا انتقلت روح الله من إبراهيم إلى إسحاق. وتزوج إسحاق من ابنة عمه (رفقة)، وحملت بعد أن كانت عاقراً «وتزاحم الولدان في بطنها فقالت: إن كان هكذا فلماذا أنا؟ فمضت لتسأل الرب، فقال لها الرب: في بطنك أمتان، ومن أحشائك يفترق شعبان: شعب يقوى على شعب وكبير يُستعبد لصغير. فلما كملت أيامها لتلد إذا في بطنها توأمان، فخرج الأول أحمر كله كفَرْوة شعر

فدعوا اسمه عيسو، وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو، فدعي اسمه يعقوب».

روح الله والبركة تذهب ليعقوب بالخداع:

وتزعم التوراة أن عيسو كان قوياً يذهب للحقل ويصطاد، بينما كان يعقوب مثل النساء يقوم بأعمال الطبخ ويساعد أمه.. ثم إن إسحاق لما شاخ وعمي، دعا ابنه عيسو، وطلب منه أن يصطاد له صيداً ويصنع له طعاماً وخمراً حتى يباركه، وتنتقل روح الله إليه، لأن روح الله لا تنتقل حسب زعمهم إلا بعد الأكل الكثير وشرب أنواع الخمور!!.

ولكن (رفقة) التي سمعت هذا الكلام كانت تحب ابنها يعقوب أكثر من أخيه عيسو، فلما ذهب عيسو ليصطاد أمرت رفقة ابنها يعقوب أن يذبح معزة، وصنعتها طعاماً جيداً، وألبست يعقوب جلد معزى وثياب عيسو، ودخل يعقوب على أبيه مدعياً أنه عيسو، وقال له: «أنا عيسو بكرك قد فعلت كما أمرتني. قم اجلس وكُل من صيدي لكي تباركني نفسك».

وشك إسحاق لأن الصوت صوت يعقوب ولكن الرائحة واليدين يدا عيسو(بسبب الشعر وجلد المعزى)، فأكل إسحاق جَدْيَيْن كاملين قدّمهما له يعقوب وشرب معهما خمراً كثيراً، ثم قال: «فليعطك الله من نَدى السماء ومن دسم الأرض وكثرة حنطة وخمر، لتستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل. كُن سيداً لإخوتك وليسجد لك بنو أمك. ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين»[١] [التكوين: الإصحاح ١٧].

وهكذا انتقلت روح الله من إسحاق إلى يعقوب.

ولما جاء عيسو ذهب إلى أبيه بالصيد وقرّبه إليه ليأكل، فلما عرف الحقيقة والخداع طلب من أبيه أن يأكل ولو قليلاً حتى تحصل له أيضاً البركة، فأخبره إسحاق أن البركة قد ذهبت إلى يعقوب، فصاح عيسو: أما بقيت لي بركة. فقال إسحاق: «إني قد جعلته سيداً لك، ودفعت إليه جميع إخوته عبيداً وعضدته بخمر، فماذا أصنع لك

(١) هذه العبارة تتردّد كثيراً في الولايات المتحدة.

يا بني؟». فصاح عيسو مرّة أخرى: «باركني أنا أيضاً، ألك بركة واحدة فقط يا أبي؟!». فأجابه إسحاق بهذه البركة الشبيهة باللعنة: «هوذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك، وبلا ندى السماء من فوق، وبسيفك تعيش، ولأخيك تُستعبد».

وهكذا حلّت روح الله وبركته في يعقوب(إسرائيل) ونسله إلى أبد الآبدين!! إنها صورة مزرية حقاً!!.

اليهود من نسل الله كما أن الابن جزء من أبيه:

ولهذا يعتقد اليهود ـ كما جاء في التلمود ـ: أن أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه، وأن أرواح اليهود عزيزة عند الله بينما باقي الأرواح من البشر تعتبر شيطانية، وإن نطفة غير اليهودي هي كنطفة باقي الحيوانات، والإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، وإذا ضرب أممي إسرائيلياً فكأنما ضرب العزَّة الإلـٰهية ويستحق الموت، ولو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودي وباقي

الشعوب، والأجانب (غير اليهود) كالكلاب، والكلب أفضل من الأجنبي، لأنه مصرَّح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم الأجنبي!!.

الخارجون عن دين اليهود خنازير نجسة، وقد خلق الله الأجنبي على هيئة إنسان، ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خُلقت الدنيا من أجلهم!!.

وليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم، ويحق لليهودي أن يغشّ الكفار، كما يحق له أن يسرق مال غير اليهودي، ولا تُعتبر سرقة، بل استرداداً لمال اليهودي، إذ أن العالم كله لم يُخلَق إلا من أجل اليهود، ويجب على كلّ يهودي أن يبذل جهده لمنع استملاك باقي الأمم في الأرض، لتبقى السلطة لليهود وحدهم، وقبل أن يحكم اليهود العالم بصورة نهائية يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق، وعندما يأتي المسيح تكون الأمة اليهودية إذ ذاك في غاية الثراء، لأنها قد حصلت على جميع أموال العالم، وتحفظ هذه الكنوز في سرايات واسعة.

ومصرّح لليهودي أن يغشّ غير اليهودي، وعلى اليهودي أن يتعلَّم من الحاخام صموئيل الذي اشترى من أجنبي آنية من الذهب، ظنّها الأجنبي نحاساً بأربعة دراهم فقط، ثم سرق منها الحاخام درهماً. . وذكروا أن فلاحاً روسياً استقرض من بائع خمر يهودي أربعة روبلات ليردها ثمانية بعد موسم الحصاد، فأعطاه اليهودي ذلك المبلغ، ثم سأله ماذا تريد أن تفعل بها؟ قال: أشرب الفودكا، فوبَّخه اليهودي كيف يشرب الفودكا وعليه دين بثمانية روبلات، وعليه أن يبادر ليخفف عن نفسه الدَّيْن، فأعطى اليهودي الروبلات الأربعة، وبقي مديناً لليهودي بأربعة أخرى!!.

وحياة غير اليهودي مُلْكٌ لليهودي فكيف بماله؟ «لليهودي لا تقرض بربا، للأجنبي لا تقرض إلا بربا». وإذا احتاج الأجنبي بعض النقود، فعلى اليهودي أن يغلظ له الربا، حتى يعجز عن سداد ما عليه، ويتنازل لليهودي عن جميع ممتلكاته.

الرب يهتمُّ فقط بابنه البكر إسرائيل:

والرب حسب زعمهم لا يهتم إلا بإسرائيل ابنه البكر، ولذا وضع عهده معهم ليكون لهم ربّاً ويكونوا لهم أبناء. جاء في سفر المزمور الثاني أن الرب قال لداود: «أنت ابني وأنا اليوم ولدتك، اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً. وأقاصي الأرض ملكاً». ويغضب الرب جداً من ابنه البكر الذي يذهب وراء آلهة أخرى.

جاء في سفر هوشع [الإصحاح ١ : ٢ ـ ٩]:

«أول ما كلَّم الربُّ هوشع(أحد أنبياء بني إسرائيل) قال الرب لهوشع: اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى، لأن الأرض قد زنت»، وذهب بنو إسرائيل وراء البَعْليم وعَشْتروت ومِلْكوم وغيرها من الأرجاس. يقول السفر: «فذهب هوشع وأخذ جومر بنت دبلايم (الزانية)؛ فحبلت وولدت له ابناً، فقال الرب: أُدْعُ اسمه يزرعيل، لأنني بعد قليل أعاقب بيت ياهو على دم يزرعيل، وأبيد مملكة بني إسرائيل في وادي يزرعيل.. لأنكم لستم شعبي وأنا لا أكون لكم».

ولكن سرعان ما يعود الرب ويناقض كلامه ويرضى عن ابنه البكر، ويندم على الشر الذي أراد أن يوقعه بابنه. . ثم يعود لتوبيخهم مرة أخرى في الإصحاح الثاني من سفر هوشع [٢ : ٢١]: يقـول الرب: «حاكموا أمكم ـ أي إسرائيل ـ، لأنها ليست امرأتي وأنا لست رجلها، لكي تعزل زناها عن وجهها وفسقها من بين ثدييها. ليلاً أجرّدها عريانة، وأوقفها كيوم ولادتها، وأجعلها كقفر . . ولا أرحم أولادها لأنهم أولاد زنى، لأن أمهم زنت، التي حبلت بهم صنعت خزياً، لأنها قالت: أذهب وراء محبّيّ الذينَ يعطون خبزي ومائي وصوفي وكتاني وأشربتي. . لكن ها أنا ذا أتملقها وأذهب إلى البرية وألاطفها وأعطيها كرومها من هناك. . وهي تغنِّي هناك كأيام صباها وكيوم صعودها من أرض مصر. . ويكون في ذلك اليوم يقول الرب: إنك تدعينني رَجُلي ولا تدعينني بعلي»، لأن الرب ينفر من اسم البعل الذي يُعبد في لبنان وغيرها والذي عبدته إسرائيل مرات عديدة.

ورغم زنا إسرائيل كما تقول أسفار العهد القديم مع

كل من هبَّ ودبَّ، إلا أن الرب يحبّها جداً ويراجعها ويتمنى أن تبقى مخلصة له وحده، وينزع أسماء البعليم من فمها فلا تذكرها، «وأخطبك لنفسي إلى الأبد. . وقال الرب لهوشع: اذهب أيضاً أحبب امرأة أخرى حبيبة صاحب، وزانية، كمحبة الربّ لبني إسرائيل، وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى ومحبّون لأقراص الزبيب» [سفر هوشع الإصحاح الثالث].

من صفات الرب في العهد القديم:

ومن صفاته لديهم أنه يتعب ويرتاح. جاء في سفر التكوين الإصحاح الثاني: «وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدّسه، لأن فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً»!!.

وجاء في سفر زكريا [الإصحاح ٢: ١٠ ـ ١٣]:

«ترنمي وافرحي يابنت صهيون، لأني هاأنذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب. . والرب يرث يهوذا

نصيبه في الأرض المقدسة ويختار أورشليم بعد. اسكتوا يا كلَّ البشر قدّام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه».

الرب ينام ويصحو ويلعب ويبكي ـ حسب زعمهم ـ!

وفي التلمود أن الله يقسّم الليل إلى اثنتي عشرة ساعة ينام فيها ويرتاح، ويقسِّم النهار إلى اثنتي عشرة ساعة. ويقسّم أعماله بالنهار كالآتي: في الثلاث ساعات الأولى يدرس الله التوراة مع كبار الأحبار، وفي الثلاث الثانية يحكم العالم ويدبر شؤونه، وفي الثلاث الثالثة يطعم الله العالم. أما الثلاث الأخيرة من النهار فيلعب فيها مع الحوت ملك الأسماك!!

ولكن الله غيّر البرنامج بعد أن شرّد أبناءه اليهود من فلسطين وسمح بتخريب الهيكل، ففي الساعات الثلاث الأخيرة يبكي على تشريد أبنائه اليهود ويزأر قائلاً: تُبّاً لي تبّاً لي، لأني صرَّحتُ بخراب بيتي وإحراق هيكلي وتشريد أبنائي!! وتسقط كل يوم منه دمعتان في البحر فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه، وتضطرب المياه وترتجف الأرض فتحصل الزلازل.

الرب يخاف من البشر ويصارع يعقوب طوال الليل:

ورغم أن الله خلق الإنسان إلا أنه ارتعب عندما أكل آدم من شجرة المعرفة. جاء في التوراة المحرّفة ـ سفر التكوين [٢: ١٦ ـ ١٨]: «وقال الرب: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا، عارفاً الخير والشر. والآن لعلّه يمدّ يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً، ويأكل ليحيا إلى الأبد»، لذا وضع عليها حراسة مشدَّدة من الكروبيم والملائكة الآخرين.

ولما رأى الرب أن أبناء آدم قد اجتمع شملهم، وكان لهم لسان واحد، وصنعوا مدينة برجها في السماء خاف الرب ـ لعائن الله على أحبار اليهود الذين كتبوا هذا الهراء ـ وقال: «هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم، وهذا ابتداؤهم العمل، والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. هلمَّ ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض، فبدّدهم الربُّ من هناك على وجه الأرض، فكفّوا عن بناء المدينة. لذلك دُعي

اسمها بابل، لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض» [سفر التكوين ١١ : ١ ـ ٩].

وفي سفر التكوين قصة غريبة حقاً، فالله ظهر ليعقوب في صورة إنسان وصارعه يعقوب حتى طلوع الفجر، ولكن أحداً منهما لم يستطع أن يتغلب على الآخر، إلا أن حُقَّ يعقوب خرج من موضعه أثناء المعركة. وإليك هذا النص الغريب: «فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقَّ فخذه فانخلع حُقُّ فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال الرب: أطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال يعقوب: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال الرب: ما اسمك؟ فقال: يعقوب. فقال الرب: لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت (أي صارعت) مع الله والناس وقَدَرْتَ. . وقال يعقوب: أخبرني عن اسمك، فقال الرب: لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان فينئيل قائلاً: لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجّيت نفسي» [سفرالتكوين ٣٢: ٢٣ ـ ٣٢].

الرب يأسره الفلسطينيون ـ حسب زعمهم ـ:

والرب يمشي ويتكلم مع بني إسرائيل، ويتبعهم أثناء التجوال والتيه، ويسكن معهم في خيمة تسمى خيمة الاجتماع، حيث يجتمع بأنبيائهم وأحبارهم، ويتصارع معهم، بل إن الأمر أغرب من ذلك، حيث أنه يحضر معهم المعارك، ويجلس في التابوت ليهب لهم النصر، إلا أنه في إحدى المرات انهزم بنو إسرائيل أمام الفلسطينيين الذين أخذوا الرب الجالس في التابوت معهم أسيراً، ولكن الرب ضربهم بالبواسير والفئران، فأصعد الفلسطينيون الرب في التابوت وأعادوه إلى بني إسرائيل ومعه كفارة: بواسير من ذهب وفئران من ذهب، وفرح بنو إسرائيل وداود بعودة الرب في التابوت، وظفر داود وأخذ يرقص ويغني من الفرح حتى أن زوجته احتقرته يومها (انظر سفر صموئيل، الإصحاح السادس).

الرب ينزل من السماء ليقتل ابن موسى، وصفورة امرأة موسى تخدع الربّ وتنقذ ابنها:

تزعم التوراة المحرفة في سفر الخروج [الإصحاح

الرابع): «أن الرب قد غضب على موسى غضباً شديداً، لأن موسى مثل بقية بني إسرائيل كان جباناً ورفض أمر الرب بالذهاب إلى فرعون خوفاً وفَرَقاً منه. وأعلن الرب أنه سينزل من عليائه ليقتل ابن موسى البكر، لأن موسى رفض أن ينقذ ابن الله البكر (إسرائيل) من يد فرعون، ونزل الربّ ـ حسب زعمهم ـ إلى الطريق في مصر، وأخذ يبحث عن ابن موسى البكر، وكان ابن موسى طفلاً صغيراً يلعب في حواري مصر وأزقَّتها، وهجم الرب الإلـه على الطفل الصغير ليقتلـه، ولكن صفّورة زوجة موسى وأم الغلام كانت أسرع منه، فخطفت الغلام واحتضنته، وأخذت سكيناً وقامت بقطع غرلة ابنها ـ أي ختنت الولد ـ، وأخذت الدم ومسّت رجلي الرب بهذا الدم ولطخته به وصاحت: إنك عريس دم لي، فانفك الرب عنه. حينئذ قالت صفّورة: عريس دم من أجل الختان!!» [الخروج ٤: ٢٢ـ٢٦].. إنها صورة مزرية حقاً!!.

الرب ـ حسب زعمهم ـ يندم ويحزن وينسى:

تُصوِّر التوراة الرب سبحانه وتعالى بصورة قميئة

حقيرة ـ لعنات الله المتتابعة على هؤلاء اليهود ـ، وهو كثير الندم. ففي سفر التكوين [الإصحاح السادس]: «فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسّف في قلبه، فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته».

ثم ندم الرب على ذلك وقال: «لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان، لأن تصوُّر قلب الإنسان شرير منذ حداثته، ولا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت» [التكوين ٨: ٢٠ ـ ٢٢].

وحتى لا ينسى الله عهده مع نوح بألا يُغرق الأرض مرة أخرى؛ جعل هناك علامة قوس قزح، حتى إذا رآها توقَّف عن إغراق الأرض بالمطر.

جاء في سفر التكوين [٩: ١٢ ـ ١٦]:

«وقال الله: هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحيّة التي معكم إلى أجيال الدهر، وضعت قوسي في السحاب، فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض، فمتى كان القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حيّة في كل جسد

على الأرض». . ولم يعرف ربُّهم هذا: أن قوس قزح لا يظهر إلا بعد انتهاء المطر!!.

وجاء في سفر الخروج [الإصحاح ٣٢]: أن الرب غضب غضباً شديداً على بني إسرائيل عندما عبدوا العجل، ولكن موسى قال للرب: «ارجع عن حموّ غضبك واندم على الشرِّ بشعبك. . .

فندم الرب على الشرِّ الذي قال إنه يفعله بشعبه».

وفي سفر العدد [الإصحاح ١٤]. «قال الرب لموسى: حتى متى يهينني هذا الشعب؟! حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علي». ولكن ما إن قدَّم له بنو إسرائيل اللحم المشوي الذي يحبه الربُّ كثيراً ـ حسب زعمهم ـ حتى عفا عنهم وندم على الشر الذي قد أنزله بهم، وكتب ميثاقاً جديداً وأعطاهم أرض كنعان، أرضاً تفيض لبناً وعسلاً.

وفي سفر صموئيل الأول [١٥ : ١٠ ـ ١١]: «وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً: ندمت على أني قد جعلت شاول ـ وهو طالوت ـ ملكاً». . . «والرب ندم لأنه ملَّكَ شاول على إسرائيل».

وفي سفر صموئيل الثاني [٢٤ : ١٦ ـ ٢٤] : «وبسط الملاك يده على أورشليم ليهلكها، فندم الرَّبُّ عن الشرِّ وقال للملاك المهلك للشعب: كفى الآن رُويدك».

وندم الرب جداً عندما جعل سليمان مَلِكاً، لأن سليمان ـ حسب زعمهم ـ عَبَدَ آلهة كثيرة ولم يكن مخلصاً لله.

وقد غضب الرب على آخاب، وأرسل الروح القُدُس ليضلّه، ولكن آخاب تواضع للرب، فندم الرب على إغوائه، ثم عاد آخاب، وفي هذه المرة غضب الرب على ابن آخاب بدلاً من أبيه. «وندم الرب على أنه فعل الشر بابن آخاب أيضاً» [سفر الملوك الأول: الإصحاح ٢١، ٢٢].

وفي سفر عاموس [٧ : ١ ـ ٣]: «نشر الله الجراد في أرض إسرائيل عقوبة لها، فكلَّمه عاموس، فندم الرب على هذا الشر الذي أوقعه بابنه البكر إسرائيل».

وفي سفر الملوك الثاني [٢٠ : ١ ـ ٦]: «قرَّر الرب أن يميت الملك حزقيا لأنه فعل الشر، ولكن حزقيا بكى

وقام وصلّى، فندم الرب ورجع عن قراره وزاده خمسة عشر سنة في عمره»!!.

الرب يطلب من بني إسرائيل سرقة المصريين:

جاء في سفر الخروج [الإصحاح ١٢]: أن الرب أمر موسى أن يقوم كل إسرائيلي باستعارة أمتعة من زميله المصري، وأن تطلب كل إسرائيلية استعارة الحلي «طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهباً وثياباً، وأعطى الربُّ نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم، فسلبوا المصريين». وهربوا بجميع ما استعاروه ليلاً.. وهكذا يأمر الرب عندهم بالسرقة ويمجدها إذا كانت من ابنه البكر إسرائيل.

وفي سفر التثنية [الإصحاح ١٩] يقول الرب: «للأجنبي لا تقرض إلا بالربا، أما لأخيك الإسرائيلي فلا تقرض بالربا». فالربا والسرقة ليست فقط مباحة عندما يتعلق الأمر بالأجانب (غير اليهود)، بل هو أمر سماوي على اليهودي أن يطيعه.

الرب يسير أمام بني إسرائيل ليلاً ونهاراً:

تزعم التوراة أن الله عندما أتاه بني إسرائيل في البرّيّة كان يسير أمامهم في الطريق ليلاً ونهاراً حتى لا يضلوا، ورغم هذا الجهد الجبَّار، لم يستطع حسب زعمهم أن يدلّهم على الطريق لمدة أربعين عاماً. جاء في سفر [الخروج ١٣ : ٢٠ ـ ٢٢]: «وكان الربُّ يسير أمامهم في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم، لكي يمشوا ليلاً ونهاراً. لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً».. ويا له من جهد ضائع!!.

موسى إله فرعون، وهارون نبي موسى:

جاء في سفر الخروج [٧: ١ ـ ٣]: «فقال الرب لموسى انظر: أنا جعلتك إلـٰهاً لفرعون!؟ وهارون أخوك يكون نبيّك. أنت تتكلم بكل ما آمرك. وهارون أخوك يكلم فرعون ليطلق بني إسرائيل، ولكني أقسّي قلب فرعون وأكثّر آياتي وعجائبي في أرض مصر».

ولكن كاتب التوراة كان يهذي، فكيف يكون موسى إلـٰهاً لفرعون!!؟ ثم كيف يكون هارون نبيّاً لموسى؟! ولماذا يقسّي الرب قلب فرعون؟ فقط ليستعرض قوته وعجائبه، فحاشا لله أن يفعل ذلك، إنما يأمر بالخير والبر.

النبي أرميا يصف الله بأنه مخادع ـ نعوذ بالله من ذلك ـ:

يقول أرميا للرب: «فقلت آه يا سيدي الرب. حقاً إنك خدّاع، خدعتَ هذا الشعب ـ يقصد شعب إسرائيل ـ قائلاً: يكون لكم سلام. وقد بلغ السيف النفس» [أرميا ٤: ١٠].

الرب يأمر أشعيا بأن يمشي عارياً لمدة ثلاث سنوات:

«تكلم الرب عن يد أشعيا بن آموص قائلاً: اذهب وحلّ المِسْح عن حقويك، واخلع حذاءك عن رجليك، ففعل هكذا ومشى معرّىً وحافياً. فقال الرب: كما مشى عبدي أشعيا معرّىً وحافياً ثلاث سنوات آية

وأعجوبة» [سفر أشعيا ٢٠ : ٢ ـ ٣].

أية آية وأعجوبة في أن يمشي شخص ما عارياً وحافياً لمدة ثلاث سنوات!! إن مثل هذا الشخص لا شك مُتَّهم بالجنون وفقدان العقل وقلة الذوق والأدب والأخلاق.

هارون ـ حسب زعمهم ـ هو الذي صنع لهم العجل:

جاء في سفر الخروج [٣٢: ١ ـ ٦]: «ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم، وأتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم وصوّره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ونادى هارون وقال: غداً عيد للرب (العجل). فبكّروا في الغد،

وأصعدوا مُحْرَقات، وقدَّموا ذبائح سلامة، وجلس الشعب للأكل والشرب، ثم قاموا للَّعِب».

ولما غضب موسى عند عودته على هارون لأنه ـحسب زعمهم ـ صنع لهم العجل، قام هارون بتعرية موسى حتى يسخر ويهزأ به الشعب: «ولمارأى موسى الشعبُ أنه مُعرّىً لأن هارون كان قد عرّاه للهزء بين مُقاوِميه» [الخروج ٣٢: ٢٦].

وقام هارون وأخته مريم بشتم موسى علانية لأنه تزوج امرأة كوشية: «وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها . . . فحمي غضب الرب عليهما، ومضى (أي الرب لأنه كان يكلمهم من وسط السحابة داخل خيمة الاجتماع)، فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة إذا مريم بَرْصاء كالثلج، فالتفت هارون إلى مريم فإذا هي برصاء» [سفر العدد ١٢ : ١ ـ ١٠].

* * *

الفصل الثالث

التوراة المحرّفة

أساس سياسة إسرائيل والولايات المتحدة

تعتبر التوراة ـ وهي الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم ـ بالإضافة إلى سفر يشوع، هي الموجِّه الأول لليهود على مرّ العصور، حيث يعتبر اليهود هذه التوراة المحرّفة هي أساس حياتهم وتاريخهم وتوحدهم، وخاصة بعد أن تفرقوا في الأرض أشتاتاً، حيث أصبحت التوراة هي الجامع الأول بل والوحيد لليهود ذوي الجنسيات المختلفة والألسنة المتباينة، من اليمن إلى لتوانيا، ومن موسكو إلى بروكلين ومنهاتن في نيويورك. . بل إن اليهود يعتبرون التوراة هي «اللوجوس» (Logos) أو الكلمة التي بواسطتها

خلق الله الكون بأسره. فأول ما خلق الله ـ حسب رأيهم ـ هو نور التوراة التي انبثقت عنها جميع الأنوار العلوية، ثم الأنوار السفلية، ثم الأكوان المختلفة!!.

لهذا تعتبر دراسة التوراة هي أهم واجبات الأحبار، بل إن الله نفسه ـ كما جاء في التلمود ـ يقضِّي الساعات الثلاث الأولى من النهار في دراسة التوراة مع كبار الأحبار كل يوم!!.

وبما أن التوراة وأسفار العهد القديم قد تنبّأت بعودة بني إسرائيل من أشتات الأرض، وأنهم سيعودون إلى أرتز (أرض) إسرائيل، كما تعود أسراب الطير إلى أوكارها وأعشاشها، ثم يمتلكون أورشليم (القدس)، ثم يبنون الهيكل حتى يأتي مسيحهم المزعوم(١).

وبما أن النصارى ـ وخاصة البروتستانت، وبالذات في الولايات المتحدة ـ يؤمنون بحرفية العهد القديم،

---

(١) هذا المسيح الذي ينتظره اليهود ليكون ملكهم الأعظم، ما هو إلا المسيح الدجّال الذي يفتتن به الناس في آخر الزمان، ثم يقتله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

فإنهم يَسْعَوْن لتطبيق ما جاء في هذا الكتاب بخصوص قيام دولة إسرائيل، والعمل على تثبيت هذه الدولة وتوسيع رقعتها، وإعادة أورشليم لتكون عاصمة لدولة إسرائيل، ومن ثمَّ بناء الهيكل حتى يمكّنوا لعودة الماشيح (المسيح) حسب زعمهم مع بداية الألفية الثالثة للميلاد.

كتاب (البعد الديني) ليوسف الحسن:

ومن أحسن الكتب التي استعرضت هذا التأثير التوراتي على المسيحيين وخاصة في الولايات المتحدة كتاب الدكتور يوسف الحسن (البُعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني)، وهو أطروحة دكتوراه، ونشره مركز دراسات الوحدة العربية (سلسلة أطروحات الدكتوراه، بيروت، ١٩٩٠).

ويهدف الكتاب إلى كشف علاقة الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية المعاصرة بقضية فلسطين، وتوضيح أبعاد هذه العلاقة في السياسة الأمريكية للمنطقة، ويركز الأصوليون المسيحيون ـ كما يقول الباحث ـ «في فهمهم للعهد القديم على موضوع مركزي منتشر في كل كتبه ابتداء

من التوراة، أو أسفار موسى الخمسة، والكتب التاريخية إلى الكتب النبوية، وهذا الموضوع المحوري هو إسرائيل وشعبها المختار. بالإضافة إلى ملكية هذا الشعب الأبديَّة للأرض المقدسة، وهي فلسطين. وقد تمسك هؤلاء بالنصوص الحرفيّة للكتاب المقدس، وسيّسوا رؤيتهم الدينية، معتبرين أن إسرائيل الواردة في العهد القديم، هي إسرائيل المعاصرة في فلسطين، وأن ميلاد إسرائيل في عام ١٩٤٨ في فلسطين، هو تأكيد لصلاحية النبوءات التوراتية وعلامة على اقتراب العودة الثانية للمسيح». ويعتقد هؤلاء المسيحيون بناء على ما جاء في أسفار العهد القديم بالأمور التالية:

١ - أن اليهود هم شعب الله المختار «وأن الله يبارك من يبارك إسرائيل ويلعن من يلعن إسرائيل»؛ «ليكن مباركوك مباركين ولاعنوك ملعونين».

٢ - أرتز (أرض) إسرائيل هي: أرض فلسطين، أرض الكنعانيين؛ وهي الأرض التي أعطاها الله لإبراهيم ويعقوب وبني إسرائيل. وكرر هذا الوعد في جميع أسفار

العهد القديم مراراً، وأمر بطرد جميع سكان الأرض التي سيأتي إليها شعب الله المختار، وأن على اليهود أن لا يعقدوا عهداً مع سكان الأرض ولا سلاماً؛ «لئلا يكونوا مناخس في جنبك يا إسرائيل ولا يكونوا قذى في عينك». اطرد سكان الأرض. . هكذا يقول ربُّ الجنود.

٣ ـ إن إنشاء إسرائيل عام ١٩٤٨ هو تحقيق البشارة الواردة في سفر حزقيال وبقية الأسفار، وأن عودة أورشليم هي البشارة الثانية، وأما البشارة الثالثة فهي بناء الهيكل، إذ بعدها يستعدّ المسيح (الماشيح) للظهور (مرة ثانية لدى النصارى، وللمرة الأولى لدى اليهود، لأنهم لا يعتبرون عيسى عليه السلام المسيح، بل هو عندهم ابن زنى وكذَّاب أشِر).

٤ ـ اعتبار كل الأشخاص والمجموعات والدول التي تعارض أو تناهض دولة إسرائيل وتحقيق هذه النبوءات التوراتية الثلاث هم أعداء الله، فكل عدو لإسرائيل هو عدو الله، وينبغي إبادته لأنه يعوق مجيء المسيح!!.

ولهذا فإن عدداً كبيراً من الرؤساء الأمريكان ابتداء من روزفلت، مروراً بترومان وجونسون وكارتر وريجان وبوش وكلينتون؛ يؤمنون بأن الله يبارك أمريكا، لأنها تبارك إسرائيل، ويدعم أمريكا لأنها تدعم إسرائيل!!.

ويتأثر كلا الجمهوريين والديمقراطيين بهذه العقائد، وإن كان التيار الأصولي المسيحي أشد ظهوراً وبروزاً في الحزب الجمهوري.

كتاب (الصهيونية المسيحية) لمحمد السماك:

والكتاب الثاني الذي استعرض تأثيرات الكتاب المقدَّس، وخاصة العهد القديم لدى النصارى البروتستانت وكيفية تأثير هذه المعتقدات في قيام إسرائيل ودعمها، هو كتاب (الصهيونية المسيحية) للأستاذ محمد السماك[(1)].

ويركز الباحث على التأثير القوي لتعاليم العهد القديم التي يؤمن بها البروتستانت، ابتداء من قيام الحركة اللوثرية وحركة كالفن ـ وكالفن يهودي تحول إلى

---

(1) إصدار دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٣.

المسيحية ـ ودعمهما المطلق لما في التوراة، «ليكن مبارِكوك مبارَكين يا إسرائيل، ولاعنوك ملعونين».

وبما أن هولندا وإنجلترا كانت من أوائل الدول التي آمنت بالبروتستانتية، فإن هاتين الدولتين على وجه الخصوص سعتا إلى دعم فكرة إنشاء وطن لليهود في أرض فلسطين، ففي عام ١٦٢١ قام هنري فنش ـ المستشار القانوني لملك إنجلترا ـ بنشر رسالته حول «الاستعادة الكبرى للعالم»، والتي يدعو فيها إلى قيام حملات صليبية جديدة لاستعادة «إمبراطورية الأمة اليهودية»، ثم تبنّى أوليفر كرومويل ـ الذي ثار على الملكية في بريطانيا، وصار رئيساً للجمهورية عام ١٦٥٤ ـ إلغاء قانون النفي لليهود من بريطانيا الذي أصدره الملك إدوارد ضد اليهود، وفتح بريطانيا لعودة اليهود، وساعدهم على الوصول إلى كثير من المناصب الهامة.

وفي عام ١٧٩٩ صدر نداء نابليون الأول إلى يهود العالم للقتال معه من أجل إنشاء مملكة أورشليم القديمة[(١)]،

---

(١) كان نابليون بونابرت أول رجل دولة يقترح إقامة دولة يهودية في فلسطين، وقد أعدت الحكومة الفرنسية عام ١٨٩٧ خطة =

وبالفعل غزا نابليون فلسطين في ذلك العام، ولكنه ارتد خاسراً أمام أسوار عكا.

وفي عام ١٨١٨ دعا الرئيس الأمريكي جون آدمز إلى استعادة اليهود لفلسطين وإقامة دولتهم فيها. ومنذ عام ١٨٣٨ عملت الحكومة البريطانية بجدّ وهمّة بالغة إلى إعادة توطين اليهود في فلسطين وحثّهم على ذلك. وقد نشر اللورد أشلي كوبر (إيرل أوف شافتسبري) عام ١٨٣٩ دراسة توضح أن اليهود هم الأمل في تجدّد المسيحية وعودة المسيح الثانية، وأن الله يريد أن يجمع هؤلاء اليهود من أشتات الأرض في فلسطين، وعلينا أن نحقق ذلك على الواقع. وعمل هذا اللورد بقوة وعزم على توطين

= سرية لإقامة كومنولث يهودي في فلسطين، وذلك مقابل قروضٍ مالية يقدمها اليهود لحكومة نابليون ولدور اليهود في بث الفوضى وإشعال الفتن في الإمبراطورية العثمانية... وفشلت حركة نابليون بونابرت، ولكن الصهيونية المسيحية ظهرت مرة أخرى في فرنسا في عهد نابليون الثالث (١٨٥٢ ـ ١٨٧٠) على يد أرنست لاهران السكرتير الخاص لنابليون الثالث، الذي دعا إلى إعادة اليهود إلى وطنهم «فلسطين»!! ووضح الفوائد العديدة التي ستعود على فرنسا من ذلك المشروع.

اليهود في إسرائيل، وأقام مؤتمراً في لندن عام ١٨٤٠ دعا فيه إلى توطين اليهود في فلسطين، وأوجد مقولة: «شعب بلا أرض، وأرض بلا شعب»، ووافق البرلمان الإنجليزي عام ١٨٤٤ على تأليف لجنة «إعادة أمة اليهود إلى فلسطين».

واستمرت هذه الجهود الحثيثة حتى وعد بلفور عام ١٩١٧، وبلفور نفسه كان شديد التأثر بالكتاب المقدس، كما كان كذلك رئيسه (رئيس الوزراء) لويد جورج. وقد أيَّد الرئيس الأمريكي ودرو ولسون عام ١٩١٨ وعد بلفور بقوة. وكانت سياسة الأنجلوساكسون في بريطانيا والولايات المتحدة هو أن تسيطر بريطانيا على فلسطين حتى تُمكِّن لليهود من استيطانها، وبالفعل أقرَّت عصبة الأمم عام ١٩٢٢ انتداب بريطانيا على فلسطين.

وازداد زخم العمل الدؤوب من أجل تحقيق نبوءات التوراة والعهد القديم من كلا جانبي الأطلسي: بريطانيا وهولندا من جهة شرق الأطلسي، والولايات المتحدة من غربه. كما أن الحركات اليهودية الصهيونية شهدت أوج

قوتها في بازل عام ١٨٩٨ بظهور تيودور هرتزل كقائد دون منازع للحركة الصهيونية، التي تسعى إلى إقامة وطن لليهود في أرتز إسرائيل (أي أرض فلسطين).

وتمَّ التعاون والتعاضد بين هؤلاء المسيحيين التوراتيين (البروتستانت) وبين اليهود لإقامة الوطن اليهودي في فلسطين، ومع ذلك كانت تحدث بينهم بعض الخلافات غير المؤثرة.

وقامت مذابح دير ياسين وغيرها لترعب من بقي من سكان فلسطين وتفرض عليهم الهجرة، في وجه ضعف وشلل الحكومات العربية التي كانت كلها تقريباً ترزح تحت الاستعمار البريطاني أو الفرنسي، أو على الأقل النفوذ الطاغي للمندوب السامي البريطاني. وتلاحقت الهزائم واستطاعت هذه الدولة الفتيّة (إسرائيل) أن تنمو بخطوات سريعة، وكانت تدفع العرب بواسطة المستشارين من الإنجليز وغيرهم إلى رفض التقسيم، لأن إسرائيل منذ لحظة قيامها لم تكن لتقبل التقسيم، فأطماعها في ابتلاع كل أرض فلسطين ليس لها حدود. وقيام دولة

إسرائيل من البحر الغربي ـ البحر الأبيض المتوسط ـ إلى نهر الأردن هو أقل ما يمكن أن تقبل به هذه الدولة، بينما يسعى آخرون لتحقيق نبوءة «أرضك يا إسرائيل من النيل إلى الفرات».

وكانت إسرائيل تخطط لابتلاع مزيد من الأراضي، وتقيم عليها المستوطنات، وتتوسع قليلاً قليلاً حسب أوامر وتوجيهات التوراة، فقد جاء في سفر التثنية: «متى أتى بك الربُّ إلـٰهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، وتطرد شعوباً كثيرة أمامك، ودفعهم الرب، فإنك تحرمهم (أي تبيدهم)، لا تقطع معهم عهداً، ولا تشفق عليهم، لأنك شعب مقدَّس للرب إلـٰهك. إيّاك قد اختار الربُّ لتكون له شعباً، أخصّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. مباركاً تكون فوق جميع الشعوب، وتأكل كل الشعوب، لا تشفق عيناك عليهم، ولكن الرب إلـٰهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً قليلاً، لا تستطيع أن تفنيهم سريعاً، لا يقف إنسان في وجهك حتى تفنيهم»[1].

---

(١) سفر التثنية، الإصحاح السابع.

وهذه هي سياسة إسـرائيل منذ قيـامها، ترفض السلام، ومع ذلك توهم العرب والعالم أنها تريده وتسعى إليه!!. وهي في الواقع تخطط لمزيد من ابتلاع الأراضي بل تتوسع في كل يوم، ثم جاءت حرب ١٩٦٧ التي شهدت التوسع الرهيب لدولة إسرائيل، واحتلت إسرائيل القدس بكاملها، وأعلنت القدس الموحَّدة (أورشليم) عاصمة لإسرائيل، وسارت في خطوات مدروسة منظمة، حتى أنها استطاعت بالفعل بعد عشرين عاماً من احتلالها من التوسع في القدس الشرقية وابتلاعها، ومطاردة الفلسطينيين المقيمين فيها ومضايقتهم، حتى طردت وهجّرت الكثير من سـكانها، وأما الضفـة الغربيـة التي احتلتها إسرائيل فهي تسميها «يهودا والسامرة».

وإذا عرفنا تاريخ الدولة اليهودية التي انقسمت بعد وفاة سليمان عليه السلام إلى دولتين متحاربتين، إحداهما في الشمال هي دولة إسرائيل، وتضم عشرة من أسباط بني إسرائيل وعاصمتها شكيم (نابلس)، والثانية دولة يهودا (وهي مكوَّنة من سبط يهودا ومعهم سبط بنيامين) وعاصمتها

أورشليم؛ فهل يمكن أن نتخيّل أن تتخلّى دولة إسرائيل الحالية عن موقع هاتين الدولتين اللتين تعتبران أساس إسرائيل؟! وكيف يمكن أن يسمح أي يهودي بإقامة دولة فلسطينية على أرض هي يهودية بموجب أوامر الرب ذاته!! وتاريخ إسرائيل شاهد على ذلك، وأسفار العهد القديم تؤكد ذلك بأغلظ المواثيق التي قطعها الرب ـ حسب زعمهم ـ مع (إبراهيم وإسحاق ويعقوب وأسباط بني إسرائيل، منذ عهد موسى وهارون ويوشع وكالب بن يُفَنَّه، ثم على عهد داود وسليمان وعهد الملكية في إسرائيل وأورشليم!!).

لهذا كله كانت سياسة إسرائيل تقوم على المراوغة حتى تطرد الشعب العربي الفلسطيني رويداً رويداً من أرض فلسطين التي يسمونها «أرتز إسرائيل»، ونتيجة الدعم الكامل من الدول الغربية ـ وخاصة الولايات المتحدة ـ استطاعت إسرائيل الاحتفاظ بكل الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧، كما احتفظت من قبل بجميع الأراضي التي احتلتها عام ١٩٤٨، وما تبعها من توسع مستمر لتلك الأراضي ولامتلاك مصادر المياه.

ثم استطاع كيسنجر أن يخرق الإجماع العربي بذكائه ومكره وخداعه، واستطاع أن يستفرد برئيس مصر الراحل أنور السادات، فوقَّع سلاماً منفرداً مع إسرائيل بشرط إعادة سيناء لمصر. واستطاعت إسرائيل أن تخرق الإجماع العربي وأن تحطمه بإخراج مصر، أكبر الدول العربية من هذا الإجماع، كما استطاعت أن تستمر في استلام حصتها كاملة من بترول سيناء وفُتحت أمامها جميع المعابر البحرية والبرية والجويّة، وبدأت عمليات التطبيع.

ثم تبع ذلك انهيار كامل للموقف العربي، وجاء مؤتمر مدريد وتبعه ما هو أسوأ منه وهو اتفاقات أوسلو السريّة المهينة بين منظمة التحرير الفلسطينية ودولة إسرائيل، ثم رفضت حكومة نتنياهو تطبيق ما تمَّ الاتفاق عليه في أوسلو، وبذلك لم يبقَ شيء يتم التفاوض عليه. وكانت تلك الانهيارات المتتابعة نتيجة عدم وجود أي سياسة واضحة للدول العربية، ونتيجة التدخل المباشر وغير المباشر للولايات المتحدة في رسم سياسات معظم تلك الدول، ونتيجة الانهيار الذي حدث في الحرب

العراقية الإيرانية التي أكلت الأخضر واليابس، وهي حرب لا مبرِّر لها على الإطلاق سوى وَهْم صدام بأنه يستطيع أن يكتسح إيران الخمينية في أسبوع.

وهكذا زيَّنت له المخابرات الأمريكية والدول الغربية[1]، ووافقته على ذلك الدول العربية، فدخل حرباً ضروساً لمدة ثمانية أعوام.. ثم أنهاها هذا المجرم الطاغية بالهجوم على الكويت واحتلالها عام ١٩٩٠، ونسي ما بذلته له الكويت بالذات من دعم غير محدود في حربه مع إيران!! وهكذا تحقق معنى الآية الكريمة: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود: ١١٣]، ومن ركن إلى

---

(١) بثت محطة «الجزيرة» الفضائية في ١٦/٤/٩٨ برنامج «سري للغاية» وفيه وثائق متعددة تظهر أن بريطانيا والولايات المتحدة أمدتا صدام حسين بالأسلحة الكيميائية المتطورة، كما أمدته بريطانيا بالسلاح الجرثومي الانثراكس.. وقدَّمت له التسهيلات المالية بألف مليون دولار. وكذلك فعلت ألمانيا وفرنسا.. وتحدث مسؤولون سابقون في الحكومة البريطانية واعترفوا أن صَدَّاماً كان يحقق لهم أطماعهم في الشرق الأوسط، ويدفع دول الخليج لشراء الأسلحة الغربية، ويجعلهم يرتمون في أحضانهم مكرهين!!.

الظالم وأيَّده وناصره فإنه لا بدَّ وأن يكتوي بناره وظلمه.

وكان ومن وراء ذلك كلِّه أيدٍ قذرة تدبّر وتزيّن، وتحسِّن لصدام جرائمه حتى تُوقِعه في مزيد من الجرائم، وحتى تحطّم ما بقي من الجيش العراقي الباسل والشعب العراقي الأبيّ، الذي واجه الحرب الكيميائية في حَلَبْشَة (حلبجة) عام ١٩٨٨، وواجه الإبادة في البصرة وجنوب العراق والأهوار، حتى بعد انتهاء حرب ١٩٩٠، وذلك كله بدعم كامل من الولايات المتحدة والدول الغربية التي تتظاهر بعداء صدام، وهي تدعم بقاءه وتُحافظ عليه، فقد أتاح لها هذا النظام السيطرة التامة على كل مقدرات المنطقة، وجعلت الجميع يهرولون نحو السلام مع إسرائيل دون أن يُبدوا أي مقاومة!!.

كتاب (النبوءة والسياسة) لجريس هالسيل:

والكتاب الثالث الذي يتحدث عن تأثيرات الكتاب المقدس ـ وبالذات العهد القديم ـ على الحياة الأمريكية ـ وبالذات على الأصوليين المسيحيين الذين قد تجاوزوا أربعين مليوناً ـ هو كتاب «النبوءة والسياسة» للصحفيّة

الأمريكية جريس هالسيل، والتي كانت المتحدثة الصحفية في البيت الأبيض في عهد لندون جونسن، والتي هالها وتحسّن لصدام جرائمه حتى تُوقِعه في مزيد من الجرائم، وأفزعها ما رأته وعرفته عن كثب من تأثير لهذه المجموعات المتصهينة من دعاة المسيحية البروتستانتية وحتى تحطّم ما بقي من الجيش العراقي الباسل والشعب المتعصبة، والتي يمثلها: جيري فالويل، وبات روبرتسـون، وجيمي سـواجارات، وأمثـالهم، الذين يتحكمون في ما يقرب من خمسين مليون أمريكي بواسطة مجموعة من الإذاعات والتلفزيونات الخاصة، والذين يدعون صراحة إلى الدعم الكامل لقيام أرتز إسرائيل، وقيام أورشليم وبناء الهيكل، وذلك على أنقاض المسجد الأقصى، ويؤيدهم في ذلك مئـات من أعضـاء الحزب الجمهوري والديمقراطي الموجـودين في الكـونجرس بمجلسَيه، كما يؤيدهم مجموعة من رؤساء الجمهورية من أمثال كارتر وريجان، وبطريقة مغايرة قليلاً الرئيس بوش والرئيس كلينتون.

ويفضح الكتـاب هذه السـياسة الخرقـاء، وهذا

التعصب الأعمى لإسرائيل، وهذا التطبيق الحرفي لنصوص العهد القديم، وإسقاط ذلك على إسرائيل الحالية، والوهم بأن المسيح قادم، وأن قدومه لن يتأخر عن بداية الألفية الثالثة للميلاد (أي في حدود سنة ألفين وما بعدها مباشرة).

كتاب (إسرائيل واجبنا.. إسرائيل ورطتنا):

وأما الكتاب الرابع الذي يعالج هذه القضية من زاوية مختلفة فهو: كتاب «إسرائيل واجبنا.. إسرائيل ورطتنا» لتيد (تيدور) بايك. وقد ابتدأ الكاتب البارع مؤلفه بنص التوراة: «إن الله يبارك من يبارك إسرائيل ويلعن من يلعن إسرائيل»، وكيف استطاع مجموعة من اليهود الأذكياء أن يُقنعوا جمهرة الشعب الأمريكي أن إسرائيل التوراتية هي إسرائيل الحالية، وأن على كل أمريكي أن يدعم إسرائيل، وأن يباركها حتى لا تهبط عليه لعنات السماء.

وقام المؤلف بتذكير مواطنيه والمسيحيين عموماً بأن إسرائيل التوراتية لا علاقة لها باليهود الذين رفضوا عيسى عليه السلام، وحاولوا قتله، وشتموه وأمه ووصفوه بأقذر

الأوصاف. وأن الكنيسة قد أعلنت منذ ما يقارب الألفي عام بأن اليهود هم الذين آذوا عيسى وقتلوه ـ حسب زعمهم ـ ولكن اليهود استطاعوا أن يؤثِّروا ليس فقط على الكنائس البروتستانتية، وذلك منذ القرن السابع عشر الميلادي، بل وعلى الكنيسة الكاثوليكية التي قامت في القرن العشرين بتبرئة اليهود من دم المسيح، وأما الكنيسة الأرثوذكسية الروسية فقد تم تحطيمها بواسطة الثورة البلشفية، ولم تبقَ إلا الكنائس الشرقية التي تواجه هجوماً شرساً ماكراً لتغيير مبادئها حول اليهود أعداء المسيح.

ويركز المؤلف على أن دولة إسرائيل الحالية لا علاقة لها بإسرائيل التوراتية، وأن هذه الدولة تنتمي أساساً إلى الفريسيين، وهم أشد طوائف اليهود معاداة للمسيح عليه السلام، وهم هم الذين لعنهم المسيح وفضحهم ووبّخهم قائلاً لهم: «ويل لكم أيها الكتَبَة والفريسيون المراؤون، لأنكم تُغْلِقون مَلَكوت السماوات قُدَّام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تَدَعون الداخلين يدخلون!! ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون،

لأنكم تأكلون بيوت الأرامل، ولعلّة تطيلون صلواتكم!!. أيها القادة العميان الذين يتظاهرون بالتورع من البعوضة ويبلعون الجمل!! ويل لكم لأنكم تنقّون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوءان اختطافاً ودعارة!! ويل لكم لأنكم تُشْبهون قبوراً مبيّضة من خارج جميلة، وهي مملوءة عظام أموات وكل نجاسة».

واعتبر المؤلف أن إسرائيل الحالية هي إسرائيل الفريسيين التلموديين أعداء المسيح والمسيحيين، ومن العار أن تدعم أمريكا المسيحية أعداء المسيح عليه السلام.

المذابح وسفك الدماء في العهد القديم:

جاء في سفر التثنية [١١ : ٢٣ ـ ٢٦]: «يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم، فترثون شعوباً أكبر منكم وأعظم منكم، كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم، من البريّة ولبنان، من النهر، نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخومكم، لا يقف إنسان في وجهكم. الرب إلـٰهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الأرض التي

تدوسونها بأقدامكم كما كلمكم الرب».

وفي سفر العدد [٣٣: ٥٠ ـ ٥٥]: «وكلَّم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلاً: كلِّم بني إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان (فلسطين)، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم، تملكون الأرض وتسكنون فيها. قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها، وتقسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم. وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبْقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جنوبكم، ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها».

وفي سفر الخروج [٣٤: ١١، ١٢]: «احفظ ما أنا موصيك اليوم: ها أنا طارد من قُدَّامك الكنعانيين والحيثيين والفرزيين واليبوسيين، احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آتٍ إليها، لئلا يصيروا فخاً في وسطك، وقذىً في عينك، ومناخس في جنبك، احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض».

وفي سفر التثنية [٢٠: ١٦ ـ ١٨]: «وأما مدن هؤلاء

الشعوب التي يعطيك الرب إلـٰهك نصيباً، فلا تستبق فيها نسـمة، بل تحرّمها تحريماً» أي تقتل من فيها من الطفل الرضيع إلى الشيخ الفاني.

وفي سـفر التثنيـه أيضاً [١٢ : ١، ٢]: « قال الرب: هذه هي الفرائض والأحكام التي تحفظونها لتعملوها: الأرض التي أعطاك الربُّ إلـٰه آبائك لتمتلكها كل الأيـام التي تحيـون على الأرض، تخربـون جميع الأماكن».

وفي سفر التثنية الإصحاح السابع: «متى أتى بك الرب إلـٰهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وتطرد شعوباً كثيرة أمامك، ودفعهم الرب، فإنك تحرّمهم ـ أي تبيدهم جميعاً ـ لا تقطع معهم عهداً، ولا تشفق عليهم، لأنك شعب مقدَّس للرب إلـٰهك. إياك قد اختار الرب لتكون له شعباً، أخصَّ من جميع الشعوب الذين على وجـه الأرض. مباركـاً تكـون فـوق جميع الشعوب، وتأكل كل الشعوب، لا تُشْفق عيناك عليهم، ولكن الرب إلـٰهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً قليلاً ـ وهذه هي سياسة إسرائيل منذ قيامها إلى اليوم ـ لا تستطيع أن

تفنيهم سـريعاً، لا يقف إنسان في وجهك حتى تفنيهم» .

وفي سفر العدد [٣١: ٧ ـ ١٩]: «فتجنَّدوا على مَدْيان كما أمر الرب، وقتلوا كل ذكر، وملوك مَدْيان قتلوهم فوق قتلاهم، وأحرقوا مدنهم بمساكنهم، وجميع حصـونهـم، وأخـذوا كـل الغنيمـة والنهـب مـن السلـب والبهائم، وأتوا إلى موسى فخطَّأَ موسى وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات، وقال لهم موسى: هل أبقيتم كل أنثى حَيّة؟ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة» .

وفي سفر يشوع [٦ : ١١] عند فتح أريحا : «وحَرَّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشـيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحدِّ السيف، لم ينجُ أحد سـوى راحاب الزانية لأنها خبأت الجاسوسين، ثم أمر الرب يشوع أن يتزوج راحاب الزانية. وحلف يشوع في ذلك الوقت: ملعون قدّام الرب الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة»، **فأريحا مدينة ملعونة ولهذا تنازلوا عنها الآن**.

وفي الإصحاح الثامن من سفر يشوع: «قال الرب

ليشوع: قم واصعد إلى عاي، انظر إني قد دفعت بيدك ملك عاي وشعبه ومدينته وأرضه، وتفعل بعاي وملكها كما فعلت بأريحا، غير أن غنيمتها وبهائمها تنهبونها لأنفسكم. . وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل وفي البريّة، حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحد السيف حتى فنَوا. . . فكان الذين سقطوا في ذلك اليـوم من رجـال ونسـاء اثني عشـر ألفـاً، هم جميع أهل عاي، ويشـوع حرّمها تحريماً، ولم يبقِ منهم باقٍ، لحائط، ولا طفلاً رضيعاً، ولا امرأة ولا شيخاً فانياً، حرَّمها جميعاً حسب أوامر الرب».

ومنذ البداية: كلم الرب يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: «موسى عبدي قد مات، قُمْ اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشـعب إلى الأرض التي أنـا معطيها له، كل موضع تدوسهُ أقدامه لكم أعطيته، من البرية ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفـرات جميع أراضي الحيثيين، وإلـى البحر نحو مغرب الشمس يكون تخومكم. لا يقف إنسان في وجهك».

ويستمر سفر يشوع في المذابح: «حتى أبادهم يشوع من قادش إلى غزة» [سفر يشوع الإصحاح الأول (١ ـ ٧)].

وفي سفر صموئيل الأول الإصحاح الأول: «اقتل أبيمالك ـ ملك الفلسطينيين ـ اقتل الكل!! الرجال والنساء والأطفال والرضَّع والأبقار والخراف والجمال والحمير».. «فالآن اذهب واضرب عماليق ـ سكان فلسطين ـ وحرّم ـ اي أقتل كل نفس ـ كل ما لهم، ولا تعفُ عنهم، بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، حَملاً وحماراً».

وفي سفر صموئيل الثاني الإصحاح [١٢ : ٢٦ ـ ٣٠] يزعمون أن داود عليه السلام استولى على بني عمّون (عمّان) في الأردن، ولم يكتف بقتل كل الرجال، بل قام بإخراج النساء والأطفال والشيوخ والعَجَزة ووضعهم تحت مناشير ونوارج من حديد وفؤوس حديد، وأمر أن يوضعوا في أتون الآجر وأشعل النار فيهم، وإليك النص المرعب: «فذهب داود إلى ربَّة عمُّون، وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جداً، وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم

تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد، وأَمَرَّهم في أتون الآجر ـ وأشعل فيهم النار ـ وهكذا صنع بجميع مدن بني عمّون».

وفي سفر يشوع: «ثم قام يشوع وأخذ مدينة مقيدة في ذلك اليوم وضربها بحدّ السيف، وحرَّم كل نفس بها، لم يبق شارداً ولا بائلاً لحائط!! ثم اجتاز إلى (لبنه) وحارب لبنة، فدفعها الرب إلى يد ابنه البكر إسرائيل، فضربها يشوع أيضاً بحد السيف ولم يبقَ بها شارداً ولا طفلاً ولا شيخاً ولا رجلاً ولا امرأة، بل ولا حماراً ولا بقراً ولا غنماً. كل ذلك حسب أوامر الرب. ثم اجتاز يشوع من لبنة إلى (لخيش) وفعل بها مثلما فعل بسابقاتها أريحا ومقيدة ولبنة، وانتقل بعدها إلى عجلون ومن عجلون إلى حبرون ـ مدينة الخليل اليوم ـ، ولم يبق بها شارداً ولا نسمة، وأباد الكل من الطفل الرضيع إلى الشيخ الفاني، ولم يستبقِ رجلاً ولا امرأة، حرّمها يشوع حسب أوامر الرب.

وهكذا فعل بدبير وحاصور التي أحرقها أيضاً

بالنار، «فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها، لم يبق شارداً، بل حرَّم كل نفس كما أمر الرب إلـٰه إسرائيل، فضربهم يشوع من قادش برنيع إلى غزة، وجميع أرض جوشن إلى جبعون، وأخذ يشوع جميع أولئك الملوك وأرضهم دفعة واحدة لأن الرب حارب عن إسرائيل.

«وجاء يشوع وقرض ـ أي أباد ـ العناقيين من الجبل من حبرون ودبير ومن عناب ومن جميع جبل يهوذا ومن كل جبل إسـرائيل، حرَّمهم يشـوع مع مدنهم، فلم يتبقَّ عناقيون في أرض إسرائيل، لكن بقوا في غزة وأشدود».

وفي الإصحاح ٢٣ من سفر يشوع: قام يشوع قبل وفاته بتقسيم ما بقي من الأراضي التي لم يحتلها على أسباط إسرائيل من بعده حتى لا يختلفوا، قائلاً: «انظروا قد قسمتُ لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقين، مُلْكاً لكم حسب أسباطكم، من الأردن وجميع الشعوب التي قرضتها والبحر العظيم نحو غروب الشمس، والرب إلـٰهكم هو ينفيهم من أمامكم ويطردهم من قدامكم، فتملكون الأرض

كما كلَّمكم الرب» .

ورغم ذلك بقيت أراض كثيرة كما جاء في سفر يشوع [الإصحاح ١٣ : ٦]: «قد بقيت أرض كثيرة للامتلاك ، هذه هي الأرض الباقية: كل دائرة الفلسطينيين، وكل الجشوريين من الشيحور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون شمالاً ، من التيمن كل أرض الكنعانيين ومغارة التي للصيدونيين إلى أفيق تخم الأموريين، وأرض الجبلين، وكل لبنان من بَعْل جاء تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة، جميع سكان الجبل من لبنان إلى مسرفوت مايم، جميع الصيدونيين، أنا أطردهم من أمام بني إسرائيل، إنما أقسّمها بالقرعة لإسرائيل ملكاً كما أمرت» .

* * *

لقد تعمَّق لدى اليهود ـ خاصة في العصور الحديثة ـ أحقيتهم في استلاب أرض الغير، وإبادتهم دون رحمة أو شفقة، لأن تلك هي تعاليم الرب إلـه إسرائيل، فقد صرَّحت جولدا مائير في ١٥ أكتوبر ١٩٧١ لصحيفة لوموند

الفرنسية: «وُجد هذا البلد - أي إسرائيل - تنفيذاً لوعد الرب ذاته. ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحاً عن شرعية هذا الوجود».

ويقول موشي ديان في الجيروزالم بوست في ١٠ أغسطس ١٩٦٧: «إذا كنا نملك الكتاب المقدَّس، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة، فينبغي أيضاً أن نمتلك أيضاً بلاد التوراة وبلاد القُضاة، أرض أورشليم وحَبْرون وأريحا وأماكن أخرى كثيرة».

ويقول مناحيم بيجن الذي اشتهر بمذابح دير ياسين وتحطيم فندق داود على من فيه من الإنجليز، يقول لصحيفة دافار في ١٤ ديسمبر ١٩٧٨: «لقد وعدنا الله هذه الأرض، ولنا كل الحق فيها».

وتصرّح جولدا مائير للصنداي تايمز اللندنية في ١٥ يونيه ١٩٦٩ بالآتي: «لا وجود للفلسطينيين، ليست المسألة أننا أتينا وطردناهم وأخذنا بلادهم، إنهم لم يوجدوا أصلاً، والتوراة شاهد على ذلك، فالوعد بهذه الأرض من الرب لنا منذ عهد إبراهيم».

وكتب بيرسون دينور أول وزير للتعليم في إسرائيل: «ليس في بلادنا مكان إلا لليهود. وسنقول للعرب ارحلوا، فإن لم يرضَوا بذلك وعمدوا إلى المقاومة فسنرحِّلهم بالقوة».

وكتب جوزين فايتز مدير الاستيطان غداة حرب يونيو ١٩٦٧: «من الواضح أنه لا مكان في هذه البلاد لشعبين، والحل الوحيد هو إسرائيل اليهودية التي تضم على الأقل إسرائيل الغربية - أي غرب نهر الأردن - بلا عرب، ولا مخرج إلا بنقل العرب إلى مكان آخر في البلدان المجاورة».

وقد صرَّح جميع قادة إسرائيل من ابن جوريون وجولدا مائير، إلى بيجن وشارون وبيريز ورابين ونتنياهو: أن الضفة الغربية هي يهودا والسامرة، ولا يمكن مطلقاً التنازل عن أرض يهودية بمقتضى أوامر الرب. ولهذا فإن قيام دولة فلسطينية في يهودا والسامرة هو أمر مرفوض تماماً بالنسبة لكل اليهود.

والرب قد أمر مراراً وتكراراً في التوراة المحرفة بطرد جميع سكان هذه الأرض من وجه إسرائيل، وإلا

وجب قتل كل نفس فيها من الطفل الرضيع إلى الشيخ الفاني؛ ولهذا يجمع اليهود على هذا الهدف، وإن كانت طرق التنفيذ تختلف. فبينما يرى بيريز سياسة الخطوة خطوة والأكاذيب والأماني المعسولة، يرى نتنياهو وشارون أن الوقت قد حان لابتلاع الضفة الغربية بكاملها دون كلمات معسولة.

ونجد بعض كبار رجال الدين المسيحي مثل الكاتب الكاثوليكي (جاك ماريتان) يقولون: «فلسطين هي الأرض الوحيدة التي ثبت ثبوتاً مطلقاً وثبوتاً إلـهياً أنها لشعب معيّن هم اليهود، ولهم حق لا يُنازع فيها».

وتقول رسالة اللجنة الأسقفية الفرنسية في ١٦ إبريل (نيسان) ١٩٧٥ تحت عنوان (إرشاد يتعلق بموقف المسيحيين من اليهودية): النقطة الخامسة: «لا يمكننا بصفتنا مسيحيين أن لا نعتقد أن الرب قد وهب في الماضي شعب إسرائيل أرضاً ليتلاقى عليها».

رأي جارودي:

ويعلّق على ذلك روجيه (رجاء) جارودي في كتابه

«إسرائيل الصهيونية السياسية» فيقول: «هذا التبرير التوراتي للقتل والإبادة، وهذا الإضفاء للشرعية على العدوانات المتتالية، وضم أرض الغير من جانب الدولة الصهيونية الحالية التي يقدمونها على أنها الوريث الشرعي والامتداد الطبيعي لإسرائيل التوراتية، يجعل اليهود يرضون ويقبلون ما لا يمكن قبوله عقلاً. ويجعل كثيراً من المسيحيين يعتقدون بصحة بعض الأقوال الكاثوليكية، وبصحة أقوال مدارس الأحد البروتستانتية، وهم يسيرون من غير وعي منهم على سنن الأسطورة الصهيونية (الموجودة في التوراة المحرفة) التي أثبت علم التفسير (والآثار المتعلقة بالمنطقة) منذ قرن، وبخاصة في السنين الأخيرة، عدم صحتها وفنَّدها تفنيداً».

ويتحدث جارودي في كتابه (إسرائيل الصهيونية السياسية) «عن استخدام اليهود ببراعة للتلفيقات التاريخية الموجودة في أسفار العهد القديم، لتثبيت أحقيتهم بأرض فلسطين وما حولها، وللتأثير على المسيحيين في أوروبا والولايات المتحدة وغيرها، بحيث نجد معظم الكنائس البروتستانتية في الولايات المتحدة تقوم بدعم إسرائيل

دعماً مطلقاً، ليس فقط لقيام كيان إسرائيل، ولكن لتوسُّعها واستيلائها على القدس (أورشليم)، وللتخطيط لهدم المسجد الأقصى حتى يتم بناء الهيكل على أنقاضه كما يزعمون.

يقول جارودي: «ومع هذا فتُستخدم هذه التلفيقات التاريخية في المدارس الإسرائيلية لتنمية التعصُّب بين الشباب، ولقد قام العالم السيكولوجي (ج. تاماران) الأستاذ بجامعة تل أبيب بالتجربة التالية: وزع الأستاذ على أكثر من ألف تلميذ، ابتداء من الصف الرابع إلى الثامن (المرحلة الابتدائية) حيث تدخل دراسة سفر يشوع في المنهج، رواية مذبحة أريحا التي قام بها يشوع، ثم سأل التلاميذ السؤال التالي: لنفترض أن الجيش الإسرائيلي احتل قرية عربية، فهل يفعل مع أهلها ما فعله يشوع مع أهل أريحا؟ وتراوحت الإجابات بنعم بين ٦٦ بالمئة و٩٥ بالمئة، حسب المدرسة والمستعمرة (كيبوتز) والمدينة. ولما كشف هذا الاستطلاع الوجه الحقيقي للمجتمع الإسرائيلي قامت الجامعة بفصل الأستاذ تاماران من قائمة أساتذتها».

وقد صرَّح أحد الحاخامات في الجيش الإسرائيلي أثناء غزو لبنان عام ١٩٨٢ لصحيفة هاآرتس (٥/ ٧/ ١٩٨٢) بما يلي: «علينا ألا ننسى أجزاء التوراة التي تبرر هذه الحرب، فنحن نؤدي واجبنا الديني بتواجدنا هنا ـ في أرض لبنان ـ، فالنص المكتوب يفرض علينا واجباً دينياً هو أن نغزو أرض العدو».

يقول روجيه جارودي معلقاً على ذلك وعلى سياسة إسرائيل التوسعية وحملات القمع وجرائم صبرا وشاتيلا: «لهذا يُظهر حاخامات إسرائيل حماساً جنونياً لتوسيع دولة إسرائيل باستمرار، ويبرِّرون كل المغامرات العسكرية الدموية ومجازر صبرا وشاتيلا».

ويقول: «دلّت الأسطورة التوراتية على قوتها في تعبئة الصهيونيين، فنرى الحاخام (ألعازر والدمان) يكتب في جريدة (نكودة) في مقال عنوانه (قوة الإنجاز)، فيأتي بالسند الديني لسياسة شارون وبيجن، مبدياً ما يؤيد أشدَّ المشروعات الإمبريالية جنوناً، ومفسِّراً ذلك باستشهادات من التوراة، وموضحاً أن إسرائيل قد أثبتت باحتلالها لبنان

أنها قادرة على احتلال عهد جديد في الشرق الأوسط، بل تجاوز ذلك إلى القول بأن هذا بَدْء خلاص العالم» (مشيراً إلى قرب نزول المسيح).

تعاليم التوراة توضح سياسة إسرائيل:

وعلى ضوء تعاليم التوراة المحرَّفة وأسفار المجازر والإبادة نستطيع أن نفهم سياسة إسرائيل وما يفعله يهود، فالمذابح التي قامت بها إسرائيل في دير ياسين ودير البلح، وفي صبرا وشاتيلا وحوض البقر، وفي قانا، وهي مما يتكرر بصورة فظيعة منذ قيام عصابات شتيرن والهاجاناه بمذابحها المشهورة، إلى الاغتيالات السياسية لكل من ينتقد سياسة إسرائيل، مثل الكونت برنادوت والدكتور الفاروقي وزوجته الأمريكية في الولايات المتحدة، وقتلهم لعالم الذرة المصري الدكتور المشدّ في باريس وغيرهم كثير وكثير، ومحاولة قتل خالد مشعل، إلى جرائم رابين أثناء الانتفاضة، وقتل الأطفال عمداً وتهشيم رؤوسهم وتكسير عظامهم وإبقائهم بعاهات دائمة، وتعمد الجنود الإسرائيليين إطلاق النار على أطفال لم يقوموا حتى

بقذف الحجارة، وآخرها الطفل ابن الست سنوات الذي قتل عمداً، رغم أنه لم يشترك حتى في قذف الحجارة.

ومجازر لبنان وأفظعها مجزرة قانا التي قام بها من يسمونه داعية السلام والشاعري والرقيق شمعون بيريز، الذي قام بما أسماه عناقيد الغضب في ١٠ ـ ٢٠ إبريل١٩٩٦، حيث تعمَّد قادة إسرائيل ضرب ملجأ أقامته الأمم المتحدة للأطفال والنساء والمدنيين، فحصد عشرات الأطفال والنساء والشيوخ في مذبحة رهيبة نقلتها أجهزة الإعلام في حينها، ورُوِّع العالم بأسره لهذه المجزرة المتعمدة ضد أطفال رُضَّع وشيوخ رُكَّع ونساء وأرامل وحوامل.

ومع هذا استطاعت قوة النفوذ الصهيوني أن تبرِّر هذه الجرائم البشعة، ثم قامت الولايات المتحدة بالضغط على الأمم المتحدة حتى تلغي تقريرها الذي أدان فيه هذه العملية البشعة وأن الهجوم على الملجأ كان متعمداً، وكانت نتيجة عدم انصياع الأمين العام للأمم المتحدة بطرس بطرس غالي لذلك أن حُرِمَ من تولي المنصب

للدورة الثانية، رغم تأييد معظم الدول للتجديد له، مع أنه قد خدم الولايات المتحدة وإسرائيل والغرب في مواقع كثيرة وخاصة في البوسنة والهرسك.

ومن أفظع ما نُشر حول جرائم الجنود الإسرائيليين؛ قتلهم المتعمد للأسرى المصريين أثناء حرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧، يقول أحد الضباط المسؤولين في الجيش الإسرائيلي عن هؤلاء الأسرى وما فعله بهم: «كان الأسرى يعوقون التقدم، ذبحناهم ثم سرقنا حتى ملابسهم الداخلية».

ويقول آخر: «أدرك المصريون أنهم لن يحصلوا منا لا على الماء ولا حتى على الأسر.. كنتُ أريد تكسير عظامهم، شربت كأس الانتقام حتى الثمالة. قلت: أطلقوا النار على هذا الكلب!! وكان بجواره ثلاثة سودانيين يصرخون: ماء، ماء، وقد أزعجوني جداً فحملت رشاشي وأفرغت فيهم مخزناً وألقيت بهم في قناة. بعد ذلك حصلنا على بعض الهدوء في النهاية».

ويقول ضابط ثالث: «آخرون طلبوا ماء فضجرت

من هذا الكلام الفارغ، أفرغت زمزمية ماء كانت معي على الأرض، وطلبت منهم معلومات قائلاً من يعطيني يشرب ما تبقى في الزمزمية. انهار أحدهم وتكلم وأفرغت مسدسي وأطلقت على كل واحد من الثلاثة طلقة في رأسه». ويواصل كلامه مفتخراً : «وأصبحت بعد ذلك مسؤولاً عسكرياً في هذه المنطقة، كنتُ أمرُّ وأرى هياكل جنود مصريين أسرى قتلتهم في عملية قادش، بعد أن استسلموا وألقوا سلاحهم، سمحت لهم بالفرار أكبر مسافة ممكنة قبل أن أقتلهم. وكنت أعرف أنهم في هذه الأماكن التي أقتلهم فيها لن يفلح أحد في دفنهم، سيبقون هناك مثل شرشف أحمر لتذكير مصر طوال حياتها بأنه لا يجدر بها أن تتورط معنا».

والسؤال هو: لماذا قام الجنود الإسرائيليون بتعذيب وقتل أسراهم؟ ولماذا تنشر الصحافة الإسرائيلية تلك الصور الدموية المرعبة؟

إن الإجابة على السؤال الأول تكفَّلت به دراستنا للتوراة وأسفار العهد القديم التي تأمر اليهودي أن يقتل وأن

يسفك الدماء، وأن يتجبَّر ويطغى متى ما كانت بيده القوة، وأن يستذل ويخنع ويتصاغر ويتذلَّل متى كانت الغلبة لأعدائه.

وأما الإجابة على السؤال الثاني فهو أن اليهود يتلذَّذون بإذلال غيرهم إذا أُتيحت لهم الفرصة. وهم لطول هوانهم وجبنهم وخستهم وحقارتهم يشعرون بالسعادة حين يرون أنهم ينتقمون لتاريخهم الطويل من المذلة والمهانة، كما أنهم يريدون أن يشعروا البلاد العربية بضعفها وهوانها وذلها ومهانتها، وهو عامل نفسي يزيد من استعداد الخصم في الاستسلام الكامل.

وقد ذكر الكاتب اليهودي إسرائيل شاحاك في كتابه (الديانة اليهودية وتاريخ اليهود): أن اليهود الإرهابيين الذين قاموا بمحاولة اغتيال بسام الشكعة ـ رئيس بلدية نابلس ـ وكريم خلف ـ رئيس بلدية رام الله ـ، اللذين فقدا أقدامهما وسوقهما في الانفجار. أن اليهود قاموا بشوي لحمهما وقدموه للمارة على أنه شيش كباب، وذلك في صيف عام ١٩٨٠، وقد استُنكر ذلك العمل الإجرامي البشع.

ويتحدث اليهود عن الإرهاب وهم يمارسون سياسة الإرهاب، بل والقتل العشوائي المتعمَّد للنساء والأطفال كل يوم، وتاريخهم الأسود كما تحكيه التوراة المحرفة إلى يومنا هذا دليل على نفسيَّة يهود، المملوءة بالتجبُّر والطغيان والفساد في الأرض عند القوة والنصر.. والذلة والمسكنة والمهانة والخنوع والخداع والكذب والتملق والمداهنة عند الضعف والانهزام.

ولكن الله غالب على أمره، وناصر دينه، ولليهود يوم غير بعيد، يقول فيه الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبد الله، تعالَ هاهنا يهودي ورائي فاقتله..

* * *

الفهرس

الموضوع الصفحة

الفصل الثاني

العهد القديم كتاب يحث على رذائل الأخلاق وهو يصف الله ـ سبحانه ـ بأسوأ الصفات

الموضوع — الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الفصل الثالث

التوراة المحرّفة أساس سياسة إسرائيل والولايات المتحدة

الموضوع **الصفحة**

* * *

صدر في هذه السلسلة

١ ـ الإسلام في الماضي والحاضر/ د. محمد الزحيلي
٢ ـ الإسلام والشباب/ د. محمد الزحيلي
٣ ـ التكريم الإلهي للإنسان/ د. محمد الزحيلي
٤ ـ النصيحة (شروطها وآدابها)/ د. عبد الرب نوّاب الدين
٥ ـ الفقه الإسلامي ومدارسه/ مصطفى الزرقا
٦ ـ الأمل وأثره في حياة الأمة/ محمد أبو صعيليك
٧ ـ من نبوءات الرسول ﷺ/ إبراهيم العلي
٨ ـ الخطة البرّاقة لذي النفس التوّاقة/ د. صلاح عبد الفتاح الخالدي
٩ ـ بناء شخصية الطفل المسلم/ محمد عثمان جمال
١٠ ـ إسرائيل ركيزة للاستعمار والعدوان بين المسلمين/ د. حسن ظاظا
١١ ـ العقل والفقه في فهم الحديث النبوي/ مصطفى أحمد الزرقا
١٢ ـ المبشِّرات بانتصار الإسلام/ د. يوسف قرضاوي
١٣ ـ جهاد الكلمة: معالمه وضوابطه/ د. محمد أبو الفتح البيانوني

١٤ ـ الصراع بين الإيمان والمادية/ أبو الحسن علي الحسني الندوي

١٥ ـ أحاديث الجمعة/ حسن البنا

١٦ ـ مئة درس من السيرة النبوية/ د. عبد الرب نوّاب الدين.

١٧ ـ فلسطين واليهود في مسرح علي أحمد باكثير/ عبد الله محمود الطنطاوي.

١٨ ـ منهج الإصلاح والتغيير عند بديع الزمان النورسي/ عبد الله محمود الطنطاوي.

١٩ ـ الأربعون العلمية/ عبد الحميد طهماز.

٢٠ ـ القدس: مدينة الله أم مدينة داود؟/ حسن ظاظا.

٢١ ـ توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية/ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.

٢٢ ـ تحريف التوراة وسياسة إسرائيل التوسعية/ محمد علي البار.

٢٣ ـ المد والجزر في تاريخ الإسلام/ أبو الحسن علي الحسني الندوي.

٢٤ ـ يا بني إسرائيل/ عبد الحميد طهماز.

٢٥ ـ الإسلام والتيارات الفكرية العالمية/ محمد المبارك.

* * *